نقض أوهام حول مفردات القرآن الكريم
(شبهات مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية نموذجًا)

د/ محمود إبراهيم إبراهيم عبد الله النفاض
مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالقاهرة

ملخص البحث

نقض أوهام حول مفردات القرآن الكريم

(شبهات مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية نموذجًا)

د. محمود إبراهيم إبراهيم عبد الله النفاض

مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: elnafad2011@gmail.com

الملخص:

لا ريب أن دعاوى المستشرقين لا تصمد أمام حجج هذا الدين وبراهينه الساطعة، سواء أكانت حججًا نقلية أم براهين عقلية، فالحق أبلج والباطل لجلج، وحقائق الإسلام العظيم تتراءى لكل منصف يبغي الجادة ويقصدها بتجرد، بعيدًا عن تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين.

ومن ثم جاء هذا البحث تحت عنوان: **نقض أوهام حول مفردات القرآن الكريم (شبهات مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية نموذجًا)** رغبة مني في نقض الأوهام التي وردت في بحث الكاتب مصطفى شاه **"مفردات القرآن: المعنى في ضوء السياق"**، ضمن مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية، الذي صدر عن جامعة أكسفورد سنة ٢٠٢٠م، وحرصًا على إظهار المعنى الصحيح لبعض المفردات القرآنية التي توهم الكاتب عدم وضوح المراد منها، أو تعمد صرفها عن سياقها.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد ومطلبين وخاتمة.

أما المقدمة: فقد ذكرت فيها أسباب اختياري للموضوع، وملامح المنهج العلمي الذي اتبعته فيه، ورسم خطته الفنية.

وأما التمهيد فقد أشرت فيه إشارة سريعة إلى محتوى مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية.

وأما المطلب الأول: فتضمن نقض أوهام عامة حول مفردات القرآن الكريم.

وأما المطلب الثاني: فتضمن نقض أوهام تطبيقية حول مفردات القرآن الكريم.

وأما الخاتمة ففيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، وأهم المقترحات، ثم أهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

المنهج:

اتبعت في هذا البحث المنهج التكاملي (الاستقرائي – التحليلي – النقدي – المقارن) وذلك لتتبع أوهام الباحث حول مفردات القرآن الكريم، وتحليل أقوال اللغويين والمفسرين، بغية اختيار ما ينقض تلك الأوهام، وبيان مراد الله من تلك المفردات بقدر الطاقة البشرية.

النتائج:

قد توصلت من خلال معايشتي لمسائل هذا البحث إلى النتائج التالية:

أولًا: كتَب بعض المستشرقين بحوثًا سطحية مليئة بالثغرات نتيجة عدم معرفتهم بالمنجزات الأكاديمية حول القرآن الكريم وعلومه.

ثانيًا: لا توجد ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم على الراجح من أقوال أهل العلم؛ بناء على ما استدلوا به من أدلة ناصعة تنقض ما اعتمد عليه آخرون.

ثالثًا: دعوى اقتباس القرآن الكريم من المصادر الكتابية والأدبية مرفوضة شكلًا ومضمونًا؛ فقد نزل القرآن الكريم على قلب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم معلمًا لأهل الكتاب مصححًا أغلاطهم التاريخية والدينية.

رابعًا: اعتمدت أمة الإسلام في تعلم القرآن العظيم على النقل الشفاهي المسلسل المتواتر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولم تعتمد يومًا من الأيام في قليل أو كثير على مجرد الرسم، بل كان الرسم في السطور تأكيدًا لما استقر في الصدور.

خامسًا: الحروف المقطعة في بدايات بعض السور أسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها كلمات اللغة العربية، وقد افتتحت بعض السور بتلك الحروف للتحدي

والإعجاز والتنبيه والإيقاظ لهؤلاء الذين تحداهم أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله.

سادسًا: جهل بعض المستشرقين بدقائق اللغة العربية واتساع معاني مفرداتها أوقعهم في كثير من الأغلاط والشبهات حول القرآن العظيم وعلومه.

المقترحات:

أولًا: إعداد دراسات علمية استقرائية تتناول شبهات المستشرقين قديمًا وحديثًا حول القرآن الكريم والرد عليها ردًّا علميًّا مناسبًا.

ثانيًا: إعداد بحوث علمية تدحض شبهات مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية.

ثالثًا: رصد كل جديد من كتابات المستشرقين والرد عليه من قبل المتخصصين حتى تظهر حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين.

رابعًا: نشر الردود على شبهات أعداء الإسلام من خلال وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة حتى تصل إلى أكبر عدد ممكن من البشر حول العالم؛ بيانًا لحقائق هذا الدين وتحصينًا للمؤمنين حتى لا يتأثروا سلبًا ببريق تأويلات المنحرفين.

الكلمات المفتاحية: نقض – أوهام – حول – مفردات – القرآن الكريم – مرجع أكسفورد

Fourth: The Nation of Islam relied in learning the great Qur'an on the frequent oral transmission to the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him), and did not rely on a day in a little or a lot on mere drawing, but the drawing in the lines was a confirmation of what settled in the chests.

Fifth: The cut letters at the beginning of some surahs are the names of their names the letters from which the words of the Arabic language were composed, and some surahs were opened with those letters to challenge, miracle, alert and wake up those who challenged them to come like him or a surah like him.

Sixth: The ignorance of some orientalists about the subtleties of the Arabic language and the breadth of its vocabulary has led them to many mistakes and suspicions about the great Qur'an and its sciences.

Propositions :

First: Preparing inductive scientific studies that deal with the suspicions of orientalists, ancient and modern, about the Holy Qur'an and responding to them in an appropriate scientific response.

Second: Preparing scientific research that refutes the suspicions of the Oxford reference in Quranic studies.

Fourth: Disseminating responses to the suspicions of the enemies of Islam through the print, visual and audio media in order to reach the largest possible number of people around the world, a statement of the facts of this religion and immunization of the believers so that they are not negatively affected by the luster of the interpretations of deviants.

Keywords: Refutation – Illusions – About – Vocabulary – Holy Quran – Oxford Reference

As for the preamble, I made a quick reference to the content of the Oxford Reference in Qur'anic studies.
As for the first requirement, it included the refutation of general illusions about the vocabulary of the Holy Qur'an.
As for the second requirement: it included the refutation of applied illusions about the vocabulary of the Holy Qur'an.
As for the conclusion, it contains the most important findings of the research, the most important proposals, then the most important sources and references, and the index of topics .
Curriculum :
In this research, I followed the integrative approach (inductive – analytical – critical – comparative) in order to track the researcher's illusions about the vocabulary of the Holy Qur'an, and analyze the sayings of linguists and commentators, in order to choose what contradicts those illusions, and the statement of God's will from those vocabulary as much as human energy .
Results :
Through my experience of the issues of this research, I have reached the following results:
First: Some orientalists wrote superficial research full of gaps as a result of their lack of knowledge of academic achievements about the Holy Qur'an and its sciences.
Second: There are no foreign words in the Holy Qur'an, based on the most likely statements of scholars, based on the clear evidence they have inferred that contradicts what others relied on.
Third: The claim of quoting the Holy Qur'an from written and literary sources is rejected in form and content, as the Holy Qur'an was revealed to the heart of the Master of the Messengers (peace and blessings of Allaah be upon him) as a teacher for the People of the Book, correcting their historical and religious mistakes.

Refuting illusions about the vocabulary of the Noble Qur'an

Suspicions of the Oxford reference in

Quranic studies as a model

Dr: Mahmoud Ibrahim Ibrahim Abdullah Alnadaf

Email: elnafad2011@azhar.edu.eg

Department of Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion, Cairo, Al-Azhar University, Egypt.

Abstract:

There is no doubt that the claims of orientalists do not withstand the arguments of this religion and its bright proofs, whether they are arguments transfer or mental proofs, the truth is Ablaj and falsehood is for Jalaj, and the facts of the great Islam appear to every fair-minded person who wants serious and intends it impartially, away from the interpretation of the ignorant and the impersonation of the invalids.

Hence, this research came under the title: Refuting illusions about the vocabulary of the Noble Qur'an (suspicions of the Oxford reference in Quranic studies as a model) out of my desire to refute the illusions contained in the writer Mustafa Shah's research "Vocabulary of the Qur'an: Meaning in the Light of Context", within the Oxford reference in Quranic studies, which was issued by the University of Oxford in 2020 AD, and in order to show the correct meaning of some Qur'anic vocabulary that deludes the writer of the lack of clarity of what is meant by them, or deliberately diverting them from their context.

The research was divided into an introduction, an introduction, two requirements and a conclusion.

As for the introduction, I mentioned the reasons for choosing the topic, the features of the scientific method that I followed in it, and drawing its artistic plan.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الخلق وأشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين، وبعد:

فإن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الخالدة لرسولنا الهادي البشير النذير، تحدى به أرباب الفصاحة وأساطين البلاغة، فعجزوا عن الإتيان بسورة مثله، مع كونه مركَّبًا من جنس الحروف التي ينسجون منها خطبهم، وينظمون منها أشعارهم، ومن ثم أيقنوا أنه ليس كلام الرسول الكريم، بل هو كلام رب العالمين، فمنهم من أشرق نور القرآن في قلبه فصار من المؤمنين، ومنهم من ظل في غيابات العناد والتقليد لآبائه الضالين.

ولما كان القرآن العظيم عمود النبوة وآية الرسالة، حاول أعداء الإسلام الطعن فيه والنيل منه، وذلك منذ أشرقت أنواره إلى يوم الناس هذا، قاصدين تشكيك المؤمنين، وصرف غير المؤمنين، فزعم بعض متقدمي أعدائه أنه سحر، وادعى آخرون أنه شعر، وافترى فريق ثالث أنه أساطير الأولين، وهي دعاوى نطقت بها ألسنتهم، دون أن تذعن لها قلوبهم، ولم يستطيعوا أن يقيموا دليلًا واحدًا على إحداها؛ فتساقطت هذه الدعاوى تحت أقدام أدعيائها، وتشامخت رايات القرآن عالية شاهدة على أنه تنزيل رب العالمين.

واستمر أعداء القرآن الكريم يوجهون سهامهم المسمومة نحو هذا الكتاب الخالد في كل عصر ومصر، وقيض الله لكتابه العزيز علماء أجلاء، بذلوا الغالي والنفيس؛ دفاعًا عن حياض هذا النور المبين، في كل زمان ومكان، وإن تكررت تلك الدعاوى في معانيها، واختلفت فقط في مبانيها، وهذا واضح بيّن لكل من تتبع تلك الدعاوى.

ولا ريب أن هذه الدعاوى لا تصمد أمام حجج هذا الدين وبراهينه الساطعة،

سواء أكانت حججًا نقلية أم براهين عقلية، فالحق أبلج والباطل لجلج، وحقائق الإسلام العظيم تتراءى لكل منصف يبغي الجادة ويقصدها بتجرد، بعيدًا عن تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين.

ومن ثم شرعت في كتابة هذا البحث، تحت عنوان: **نقض أوهام حول مفردات القرآن الكريم (شبهات مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية نموذجًا)**، رغبة مني في نقض الأوهام التي وردت في بحث الكاتب مصطفى شاه **"مفردات القرآن: المعنى في ضوء السياق"**، ضمن مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية، الذي صدر عن جامعة أكسفورد سنة ٢٠٢٠م، وحرصًا على إظهار المعنى الصحيح لبعض المفردات القرآنية التي توهم الكاتب عدم وضوح المراد منها، أو تعمد صرفها عن سياقها.

أسباب اختياري هذا الموضوع:

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع للأسباب الآتية:

١) الرغبة الصادقة في الانضمام إلى كتيبة المنافحين عن حياض الكتاب الحكيم.

٢) إظهار التفسير الصحيح لبعض المفردات القرآنية التي توهم الباحث عدم وضح المراد منها، أو تعمد صرفها عن سياقها.

٣) التأكيد على أهمية إتقان العلوم الأساسية لمن يتصدى للبحث في القرآن الكريم، حتى لا ينحرف عن الصراط المستقيم.

٤) الاستجابة لاقتراح رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بكليتنا العامرة كلية أصول الدين بالقاهرة الأستاذ الدكتور محمد حسن سبتان – حفظه الله– حيث اقترح فضيلته التصدي لما جاء بمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية من خلال بحوث الترقية.

الدراسات السابقة:

لم يتناول أحدٌ – في حدود اطلاعي – هذا الموضوع – **نقض أوهام حول مفردات القرآن الكريم (شبهات مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية**

نموذجًا)– في بحث مستقل ردًّا على ما سرده الدكتور مصطفى شاه من شبهات المستشرقين.

ملامح المنهج الذي اتبعته في البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج التكاملي (الاستقرائي – التحليلي – النقدي – المقارن) وذلك لتتبع أوهام الباحث حول مفردات القرآن الكريم، وتحليل أقوال اللغويين والمفسرين، بغية اختيار ما ينقض تلك الأوهام، وبيان مراد الله من تلك المفردات في حدود الطاقة البشرية.

خطة البحث:

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد ومطلبين وخاتمة.

أما المقدمة: فقد ذكرت فيها أسباب اختياري للموضوع، وملامح المنهج العلمي الذي اتبعته فيه، ورسم خطته الفنية.

وأما التمهيد فقد أشرت فيه إشارة سريعة إلى محتوى مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية.

وأما المطلب الأول: فتضمن نقض أوهام عامة حول مفردات القرآن الكريم.

وأما المطلب الثاني: فتضمن نقض أوهام تطبيقية حول مفردات القرآن الكريم.

وأما الخاتمة ففيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، وأهم المقترحات، ثم أهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وبعد، فهذا عملي في البحث، بذلت فيه – حسب ظني – قصارى جهدي محاولة للوصول به إلى المستوى المنشود، فإن وفقت إلى تحقيق ذلك فهذا من فضل ربي، وإن كانت الأخرى فحسبي أني اجتهدت، والخير أردت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله وسلم وبارك على نور الوجود صاحب الجود سيد ولد آدم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد

أدلى المستشرقون بدلوهم في حقل الدراسات القرآنية منذ زمن بعيد، وكان لهم منهج مغاير لمناهج علماء المسلمين قديمًا وحديثًا، وتباينت كتاباتهم فيها من النزاهة والموضوعية تباينها في الجودة والإتقان.

ومن إصدارات المستشرقين الحديثة ما شهدته الأوساط الاستشراقية والدوائر الأكاديمية الغربية في الفترة الأخيرة من إعداد مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية، الذي صدر عن جامعة أكسفورد ٢٠٢٠م، بتحرير محمد عبد الحليم ومصطفى شاه، ومشاركة طائفة متنوعة من الباحثين العرب والمسلمين ممن يكتب بالإنجليزية، جنبًا إلى جنب أقرانهم من الباحثين الغربيين.

وهذا المرجع لا يكاد يغادر قضية من أمهات القضايا في حقل الدراسات القرآنية إلا تناولها بالمناقشة، مخاطبًا العقل الحديث بلغة العصر الحديث، فقد اشتمل على ثمانية أبواب تضمنت سبعة وخمسين فصلًا، وقد عرض مؤلفو هذا المرجع لكثير من أمهات القضايا في حقل الدراسات القرآنية، والمحيط التاريخي الذي نشأ فيه القرآن، وما يتصل بجمعه ونقله ومخطوطاته ونقوشه ومطبوعاته، ومذاهب تفسيره وتأويله، وأبعاده البنيوية والأدبية، وموضوعاته ومحاوره الكبرى العقدية والتشريعية والأخلاقية والسياسية.

وقد توفر على ترجمة هذا المرجع مترجمان فاضلان، هما: الدكتور حسام صبري (المدرس بقسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر الشريف)، والأستاذ مصطفى الفقي (الباحث والمترجم).

ثم قام الدكتور عبد الرحمن حللي (أستاذ التفسير والدراسات القرآنية بكلية الشريعة جامعة قطر) بمراجعة النص العربي مراجعة دقيقة متأنية، كما تفضل بكتابة

مقدمة الترجمة العربية[1].

وقد أرجع الدكتور عبد الرحمن حللي أهمية ترجمة مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية إلى عدة عوامل:

أولها: كسر القطيعة اللغوية بين العربية والدراسات الغربية حول القرآن الكريم؛ إذ لا تزال معظم الرؤى في العالم العربي عن الدراسات الغربية حول الإسلام والقرآن مطبوعة بالتصور العربي عن الاستشراق وموقفه من القرآن، وهو تصور بني أساسًا على كتب الردود، وهي وإن كانت أمينة في عرض الرؤى الاستشراقية، فإن المنهجية العلمية تقتضي أن تبنى التصورات من كتب أصحابها مباشرة، فيوفر هذا المرجع مدخلًا مباشرًا للقارئ العربي للاطلاع على الرؤى الغربية حول القرآن وتنوعها وتطورها، والتي تجاوزت في بعض اتجاهاتها الرؤى الاستشراقية المؤسسة.

ثانيها: أن خمسة عقود من الدراسات الغربية للقرآن ليس من السهل على أي متخصص أن يحيط باتجاهاتها وخلاصاتها، لا سيما إن كان جاهلًا بلغاتها، ويوفر هذا المرجع مادة ثرية مركزة وموثقة عن ذلك.

ثالثها: يوفر هذا المرجع مادة أكاديمية مرجعية للتعرف على الدراسات الغربية حول القرآن، فهو مرجع مباشر غير وسيط يمكن للباحث العربي أن يعزو إليه من غير توجس من احتمالات التأويل والفهم الملتبس في كتب الردود.

رابعها: أن حركة الترجمة إلى العربية قد تطورت في العقدين الأخيرين، وتعد ترجمة الكتب المرجعية ترشيدًا لحركة الترجمة الحديثة، لما تضيفه من جسر للمعارف ووصل لها[2].

---

(١) أفدت هذه المعلومات من تقديم مركز نهوض للدراسات والبحوث (بيروت – لبنان) (١/ ١١) وما بعدها، وهو المركز الذي قام بنشر الطبعة الأولى للترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية سنة ٢٠٢٤م.

(٢) ينظر: مقدمة الترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية تحت عنوان: الدراسات

ومع تلك الأهمية فإنني أعتقد أن ما ورد في هذا المرجع ربما يفيد القارئ المثقف بحيث يفتح له نافذة على الدراسات الغربية حول القرآن الكريم، ولكني بعد قراءتي للفصل الثامن عشر من فصول هذا المرجع التي بلغت سبعة وخمسين فصلًا، استقر في ذهني ما دوّنه كاتب المقدمة للترجمة العربية من هذا المرجع؛ حيث يقول: "فالمرجع إذن نافذة واسعة للقارئ العربي على الدراسات الغربية (الاستشراقية، وما بعد الاستشراقية، والإسلامية) حول القرآن الكريم، وسيجد في معظمه ما هو جديد ومفيد، وسيكون مفتاحًا لمعرفة ما هو أوسع في مجاله، لكن المتخصص سيجد أيضًا في بعضه ما هو سطحي ومكرر، وسيجد ثغرات في كثير من المجالات ما كان لها أن تكون لو كان للكتّاب معرفة بالمنجز الأكاديمي العربي حول القرآن وعلومه ...."[1].

ومن منطلق اطلاعي على بعض المنجز الأكاديمي العربي حول القرآن وعلومه، عزمت على سد تلك الثغرات في الفصل الذي كتبه الدكتور مصطفى شاه تحت عنوان: مفردات القرآن: المعنى في ضوء السياق.

والدكتور مصطفى شاه مدرس بقسم اللغات والثقافات واللغويات بكلية الدراسات الشرقية والإفريقية، يركز في اهتماماته البحثية على القراءات، ودراسات الحديث، وعلم الكلام، واللغويات العربية القديمة، وقد تولى تحرير عدة مقالات حول الحديث (صدرت عن دار روتليدج ٢٠١٠م) ومصنف في التفسير وتأويل القرآن (روتليدج ٢٠١٣م)[2].

وما كتبه الدكتور مصطفى شاه في مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية حول مفردات القرآن الكريم يشتمل على ثغرات إجمالية سميتها أوهامًا عامة، ويشتمل أيضًا على ثغرات تفصيلية تطبيقية سميتها أوهامًا تطبيقية، واستعنت الله تعالى على سد هذه الثغرات ونقض تلك الأوهام، فأسأله سبحانه الهداية والتوفيق والصلاح والقبول.

القرآنية الغربية والعربية: نحو تجاوز القطيعة (١/٢١، ٢٢).

(١) مقدمة الترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية (١/٢٣).

(٢) مقدمة الترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية (١/٤٣).

المطلب الأول

نقض أوهام عامة حول مفردات القرآن الكريم

تضمن بحث الدكتور مصطفى شاه ثلاثة أوهام عامة حول المفردات القرآنية؛ حيث وهم أن بعض مفردات القرآن الكريم ذات أصول أعجمية، وزعم بناء على ذلك أن القرآن الكريم مقتبس من المصادر الكتابية والأدبية، وادعى وجود أخطاء في رسم النص القرآني أدت إلى اختلاف المفسرين حول دلالات بعض المفردات القرآنية.

الوهم الأول: بعض مفردات القرآن الكريم ذات أصول أعجمية:

يرى الدكتور مصطفى شاه أن بعض مفردات القرآن الكريم ذات أصول أعجمية، ويؤيد رؤيته هذه بالإشارة إلى كتابات المستشرقين، ويعتبرها براهين ساطعة على حقية ما يراه؛ فيستهل بحثه حول مفردات القرآن قائلًا: " لوحظ أن دراسة المفردات القرآنية، وبخاصة التحليل المفصل لتلك الكلمات التي يفترض أن لها أصلًا أعجميًّا، قد تبوأ صدارة النقاش الأكاديمي حول أصول الإسلام. ولا شك أن نسبة ليست بالكبيرة من الدراسات المبكرة للمفردات القرآنية انضوت تحت محاولات تسليط الضوء على التأثير والتأثر اللغوي للنص"(١).

ثم يشير إلى بعض الدراسات المبكرة للمفردات القرآنية، وهي مصادره وأدلته على صواب ما ذهب إليه؛ حيث يذكر أن من بين الدراسات البارزة في تلك الحقبة الزمنية: دراسة لألويس اشبرنجر سنة ١٨٥٢م بعنوان "وقوع الألفاظ الأعجمية في القرآن"، وأخرى لرودلف دفوراك سنة ١٨٨٤م بعنوان " حول الكلمات الأجنبية في القرآن"، فضلًا عن دراسة أخرى له في العام نفسه بعنوان "إسهامات في قضية الكلمات الأجنبية في القرآن"، ويذكر أن سيجموند فراينكل أدلى بدلوه حول هذا

(١) الترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية (٥٨٣/١).

الموضوع عبر دراسة تناول فيها ألفاظ الشعر العربي القديم ومفرداته في القرآن صدرت سنة ١٨٨٠م، فضلًا عن دراسة أخرى له سنة ١٨٨٦م بعنوان "الكلمات الأجنبية الآرامية في اللغة العربية"(١).

ولم يكتف الدكتور مصطفى شاه بتلك الدراسات المبكرة، بل سرد كثيرًا من عناوين الدراسات الاستشراقية التي دونت بعد ذلك حول مفردات القرآن الكريم – وحاول إقناع قارئيه أن كاتبي تلك الدراسات عنوا بدراسة اللغة العربية ونشروا المعاجم العربية في أوربا في القرن السابع عشر. وأرى أن تلك الدراسات المتعددة لا تقدم شيئًا جديدًا؛ حيث تدور كلها حول دعوى وجود الكلمات الأجنبية في القرآن الكريم.

ثم عنون الدكتور مصطفى شاه عنوانًا جانبيًّا في ثنايا بحثه، عنون بقوله: بقايا الأثر، وكتب تحت هذا العنوان ما يلي: " من بين الأعمال التي استقت بشكل كبير من الدراسات المبكرة ما صنفه آرثر جفري عن الألفاظ الأجنبية في القرآن. وقد لاحظ جفري تحول الجدل الدائر حول أصول الإسلام إلى "التركيز على النظر في الألفاظ والمفردات". ومن خلال العزم على استكشاف البيئة الأدبية الأصلية للنص القرآني، رأى جفري أن دراسة المفردات لا بد أن تكون الأساس الذي يعتمد عليه في فهم النص القرآني، بل وفهم السيرة النبوية. وتبنى القول بأن دين العرب قد تطور عبر " الاتصال بدين أرقى وحضارة أسمى"، وأن هذا ما حدا بهم إلى "استعارة الألفاظ الأدبية والثقافية". وذكر جفري أن شبه الجزيرة العربية في ذلك الزمان " لم تكن معزولة عن بقية العالم، وأن أهلها كانوا على اتصال دائم وكامل ببلاد الشام وفارس والحبشة"؛ مما أسفر عن تبادل في الألفاظ والأفكار إلى حد كبير جعل الرؤية الكلية للقرآن ولغة العرب حافلة بهذه الآثار. وفي معرض إنكاره لأصالة النص القرآني زعم

(١) ينظر: المصدر السابق (١/٥٨٥).

جفري بكل ثقة أن الأصل اليهودي والمسيحي للمفردات والكلمات كان جليًّا لدى الطلاب الغربيين، وأن الجزء الأكبر من الكلمات الدينية والثقافية في القرآن له "أصل أجنبي غير عربي". كذلك رأى جفري أنه عند تقصي المفردات القرآنية والعودة بها إلى أصولها في اللغات الأخرى يتجلى المحمل الدلالي الحقيقي لها"(١).

حوت كلمات الدكتور مصطفى شاه سرد الدراسات الاستشراقية التي تناولت مفردات القرآن الكريم، ثم أتبع ذلك باقتباس عبارات من كلام آرثر جفري الذي استقى دراسته بشكل كبير من الدراسات المبكرة حول تلك القضية، وحاصل ما ذهبت إليه الدراسات الاستشراقية كلها قديمًا وحديثًا هو وجود كلمات أعجمية في القرآن الكريم، وهذا الحاصل يدفعه واقع مفردات القرآن الكريم للأسباب الآتية:

أولًا: أن أغلب الطاعنين في عروبة القرآن الكريم جاهلون بدقائق اللغة العربية، غير عالمين بحقائق الإسلام، مستغلون سوء حال المسلمين في التشنيع على نبيهم وكتابهم، وما أشبه الليلة البارحة؛ فقد ذكر الشيخ محمد رشيد رضا أن الأستاذ الإمام محمد عبده – رحمهما الله – قرأ له عبارة من كتاب فرنسي في الطعن على الإسلام، وطفق يرد عليها بعد أن قال: " إن هؤلاء الإفرنج يأخذون مطاعنهم في الإسلام من سوء حال المسلمين، مع جهلهم هم بحقيقة الإسلام. قال: إن القرآن نظيف، والإسلام نظيف، وإنما لوثه المسلمون بإعراضهم عن كل ما في القرآن، واشتغالهم بسفساف الأمور"(٢).

ثانيًا: أن قولهم بوقوع الألفاظ الأعجمية أو الأجنبية في القرآن الكريم، يشبه إلى حد ما دعوى المشركين في زمن النبوة، أن سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم أخذ

---

(١) الترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية (٥٩١/١).

(٢) تفسير القرآن الحكيم = تفسير المنار (١٢/١).

القرآن عن أحد أقيان مكة الأعاجم[1]، وهي دعوى واضحة البطلان لكل ذي

(١) تعددت الروايات في سبب نزول قوله تعالى: " وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ "[النحل: ١٠٣] فقد أخرج الإمام الطبري بسنده عن ابن عباس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلِّم قَينًا بمكة، وكان أعجميّ اللسان، وكان اسمه بَلْعام، فكان المشركون يَرَوْن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدخل عليه، وحين يخرج من عنده، فقالوا: إنما يعلِّمه بلعام، فأنزل الله تعالى ذكره "وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ". وأخرج بسنده عن قتادة، قوله: "وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ" وقد قالت قريش: إنما يعلمه بشر، عبد لبني الحَضْرميّ يقال له يعيش، قال الله تعالى: "لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ" وكان يعيش يقرأ الكُتُب. وأخرج بسنده عن ابن إسحاق، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرًا ما يجلس عند المرْوَة إلى غلام نصراني يقال له جَبْر، عبد لبني بياضة الحَضْرَميّ، فكانوا يقولون: والله ما يعلِّم محمدا كثيرا مما يأتي به إلا جَبْرٌ النصرانيُّ غلام الحضرميّ، فأنزل الله تعالى في قولهم: "وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ". وأخرج بسنده عن عبد الله بن مسلم الحضرميّ: أنه كان لهم عبدان من أهل عير اليمن، وكانا طفلين، وكان يُقال لأحدهما يسار، والآخر جبر، فكانا يقرآن التوراة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جلس إليهما، فقال كفار قريش: إنما يجلس إليهما يتعلم منهما، فأنزل الله تعالى: "لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ". والمعنى: ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلًا منهم: إنما يعلم محمدا هذا الذي يتلوه بشر من بني آدم، وما هو من عند الله، يقول الله تعالى ذكره مكذّبهم في قيلهم ذلك: ألا تعلمون كذب ما تقولون، إن لسان الذي تلحدون إليه: يقول: تميلون إليه بأنه يعلم محمدا أعجميّ، وذلك أنهم فيما ذُكر كانوا يزعمون أن الذي يعلِّم محمدا هذا القرآن عبد روميّ، فلذلك قال تعالى (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) يقول: وهذا القرآن لسان عربيّ مبين اهـ جامع البيان (٢٩٨/١٧) وما بعدها.

مُسكة عقل؛ إذ كيف يأخذ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القرآن العربي المبين عن قين أعجميّ؟! وكيف يزعم آرثر جفري بكل ثقة أن الأصل اليهودي والمسيحي للمفردات والكلمات كان جليًّا لدى الطلاب الغربيين؟! كيف يكون الأصل اليهودي والمسيحي هو أصل المفردات القرآنية؟! ونحن نجزم أن التوراة والإنجيل كتابان غير عربيين.

ثالثًا: لا خلاف في كون القرآن الكريم مركبًا على أساليب العرب، وإن كانت فيه أسماء أعلام غير عربية، حكى هذا الإجماع الإمام القرطبي فقال: "لا خلاف بين الأئمة أنه ليس في القرآن كلام مركب على أساليب غير العرب، وأن فيه أسماء أعلامًا لمن لسانه غير العرب، كإسرائيل وجبريل وعمران ونوح ولوط. واختلفوا هل وقع فيه ألفاظ غير أعلام مفردة من كلام غير العرب، فذهب القاضي أبو بكر بن الطيب والطبري وغيرهما إلى أن ذلك لا يوجد فيه، وأن القرآن عربي صريح، وما وجد فيه من الألفاظ التي تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تواردت اللغات عليها فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة وغيرهم، وذهب بعضهم إلى وجودها فيه، وأن تلك الألفاظ لقلتها لا تخرج القرآن عن كونه عربيًّا مبينًا، ولا رسول الله عن كونه متكلمًا بلسان قومه"[(١)].

وإذا كان الإجماع لا ينعقد إلا عن دليل يستند إليه كما يقول الأصوليون[(٢)]، فإن أقوى دليل يستند إليه ذلك الإجماع هو قول منزله سبحانه على قلب رسوله صلى الله عليه وسلم بواسطة أمين وحيه جبريل عليه السلام: "وإنه لتنزيل رب العالمين

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦٨/١).

(٢) ينظر: شرح مختصر الروضة (١١٨/٣)، كشف الأسرار (٢٦٣/٣)، إرشاد الفحول (٢١١/١).

نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين" [الشعراء: ١٩٢: ١٩٥].

وقد أبدع صاحب الكشاف في شرح دلالة هذه الآيات على كون القرآن الكريم عربيًّا دون أن تشوبه شائبة عجمة على الإطلاق؛ حيث ذكر أنه "لو نزله باللسان الأعجمي، لتجافوا عنه أصلًا، ولقالوا: ما نصنع بما لا نفهمه، فيتعذر الإنذار به، وفي هذا الوجه: أن تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك، تنزيل له على قلبك، لأنك تفهمه ويفهمه قومك. ولو كان أعجميًّا لكان نازلًا على سمعك دون قلبك، لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها، وقد يكون الرجل عارفًا بعدّة لغات، فإذا كلم بلغته التي لقنها أولًا ونشأ عليها وتطبع بها، لم يكن قلبه إلا إلى معاني الكلام يتلقاها بقلبه، ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت، وإن كلم بغير تلك اللغة وإن كان ماهرًا بمعرفتها كان نظره أولًا في ألفاظها ثم في معانيها، فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين"(١).

رابعًا: اختلف العلماء حول وجود ألفاظ مفردة في القرآن الكريم – غير الأعلام – من كلام غير العرب، فذهب الجمهور إلى عدم وجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم، وذهب آخرون إلى وجودها، وتوسط فريق ثالث فتأول وجودها على أن العرب عربوها قبل نزول القرآن الكريم واستعملوها في كلامهم فصارت عربية الاستعمال.

وقد تتابعت عبارات الأعلام الكبار في تأييد القول الأول — وهو القول الأصح – حيث يقول الإمام الشافعي — بعد أن ذكر آيات قرآنية تدل على كون القرآن عربيًّا، منها: قوله تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾[الرعد: ٣٧]، وقال:﴿وَكَذَٰلِكَ

(١) الكشاف (٣/٣٣٤).

أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ [الشورى: ٧] - " فأقام حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها، ثم أكد ذلك بأن نفى عنه - جل ثناؤه - كلَّ لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه؛ فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣] وقال: ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ ﴾ [فصلت: ٤٤][1].

ويقول الإمام الطبري: " غيرُ جائز أن يُتوهّم على ذي فطرة صحيحة، مقرّ بكتاب الله، ممن قد قرأ القرآن وعرف حدود الله، أن يعتقد أنّ بعضَ القرآن فارسي لا عربيّ، وبعضه نبطي لا عربيّ، وبعضه روميّ لا عربيّ، وبعضه حبشي لا عربي، بعد ما أخبر الله تعالى ذكرُه عنه أنه جعله قرآنًا عربيًّا"[2].

ويقول الإمام الزركشي: " اعلم أن القرآن أنزله الله بلغة العرب، فلا يجوز قراءته وتلاوته إلا بها؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا ﴾ [يوسف: ٢] وقوله: ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا ﴾ الآية يدل على أنه ليس فيه غير العربي؛ لأن الله تعالى جعله معجزة شاهدة لنبيه عليه الصلاة والسلام، ودلالة قاطعة لصدقه، وليتحدى العرب العرباء به، ويحاضر البلغاء والفصحاء والشعراء بآياته، فلو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة"[3].

وقد استدل أرباب المذهب الثاني بورود روايات عن بعض الصحابة والتابعين تدل على وجود كلمات قليلة ليست بلسان العرب؛ فقد ورد عن أبي موسى رضي الله

---

(١) الرسالة (١/٣٤).

(٢) جامع البيان (١/١٨).

(٣) البرهان في علوم القرآن، النوع السابع عشر: معرفة ما فيه من غير لغة العرب (١/٢٨٧).

عنه في تفسير: ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ [الحديد: ٢٨] قال: الكفلان: ضعفان من الأجر، بلسان الحبشة . وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله: ﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١ ﴾ [المدثر: ٥١] قال: هو بالعربية الأسد، وبالفارسية شار، وبالنبطية أريا، وبالحبشية قسورة. وجاء عن سعيد بن جُبَير أن قوله:﴿ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾[الحجر: ٧٤] قال: فارسية أعربت "سنك وكل"(١).

أما القائلون بالمذهب الثالث فقد رأوا الخلاف لفظيًّا، وقالوا بأن الكلمات القليلة التي ليست بلسان العرب في الأصل، قد عربتها العرب فصارت عربية الاستعمال، وممن رجح ذلك الحافظ السيوطي فقال: " والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعًا، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال أعجمية فصادق"(٢).

وهذا التوسط بين القولين يعتبره جفري من الحيل الحاذقة لتبرير اشتمال القرآن على الكلمات الأجنبية؛ حيث يقول عنه الدكتور مصطفى شاه: " وفي معرض حديثه عن معرفة العلماء القدامى بوجود كلمات أجنبية في القرآن، يقرر جفري أن القيود الدينية دفعتهم إلى التلطف في أقوالهم في هذه المسألة، واللجوء إلى حيل حاذقة لتبرير اشتمال القرآن على مثل هذه الكلمات"(٣).

وقد رد الإمام الشافعي قول هؤلاء بأن بعض الألفاظ قد تكون عند العرب ،

---

(١) ينظر: جامع البيان (١/١٣).

(٢) الإتقان في علوم القرآن، النوع الثامن والثلاثون: فيما وقع فيه بغير لغة العرب (٢/١٢٩).

(٣) الترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية (١/٥٩٢).

ويخفى هذا على المفسر، فيظنها أعجمية، وليست كذلك؛ لأن " لسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غيرُ نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها، حتى لا يكون موجودًا فيها من يعرفه. والعلمُ به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه، لا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيءٌ، فإذا جُمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنن، وإذا فُرّق علم كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها، ثم ما كان ذهب عليه منها موجوداً عند غيره، وهم في العلم طبقات منهم الجامع لأكثره، وإن ذهب عليه بعضه، ومنهم الجامع لأقلَّ مما جمع غيره".(١).

ورأى الإمام الطبري أن الألفاظ قد تتوارد على الألسنة المختلفة بمعنى واحد؛ فقال: " ولم نستنكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد، فكيف بجنسين منها، كما وجدنا اتفاق كثير منه فيما قد علمناه من الألسن المختلفة، وذلك كالدرهم والدينار والدواة والقلم والقرْطاس، وغير ذلك"(٢).

وبناء على ما تقدم ترجح عندي القول الأول، الذي يرى أربابه أن القرآن عربي مبين، لا توجد به كلمات أعجمية البتة؛ بناء على ما ذكروا من أدلة قطعية أولًا، وما ردوا به على مخالفيهم ثانيًا.

وقد يضاف إلى ذلك أننا نعتقد بثبوت القرآن الكريم في اللوح المحفوظ أزلًا؛ لقوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]، وثبوت القرآن في اللوح المحفوظ أزلًا يدل على كونه بلسان العرب أزلًا قبل أن تتعدد الألسنة،

(١) الرسالة (١/٣٤).

(٢) جامع البيان (١/١٥).

ويدل على أن الألفاظ التي ظنوها أعجمية هي في الأصل عربية، ونقلها العجم عن العرب وتكلموا بها، فلما نزلت في كتاب الله ظن بعض العرب أنها أعجمية، لورودها في أحاديثهم ومخاطباتهم.

ومن نافلة القول أن نردد: لو كانت هناك ألفاظ أعجمية في القرآن، لما ترك مشركو مكة – وهم أهل لغة — الذين لم يتركوا مجالاً للطعن في النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب ربه إلا سلكوه، لو وجدوا هذه الشبهة قائمة لقالوها، ولشنَّعوا بها على كتاب الله تعالى وعلى من نزل عليه صلى الله عليه وسلم.

ومما هو جدير بالذكر أن الدكتور مصطفى شاه — وغالب الظن أنه مسلم باكستاني — اكتفى بقوله: زعم، وذلك خلال نقله لمضمون كلام آرثر جفري الذي يظهر تناقضه لكل أحد لأول وهلة؛ إذ يقول: " وفي معرض إنكاره لأصالة النص القرآني زعم جفري بكل ثقة أن الأصل اليهودي والمسيحي للمفردات والكلمات كان جليًّا لدى الطلاب الغربيين، وأن الجزء الأكبر من الكلمات الدينية والثقافية في القرآن له "أصل أجنبي غير عربي"[1].

في الحقيقة لا أدري كيف يجتمع الزعم والثقة في آن، وإن كان الزعم من الناقل وكانت الثقة من المنقول عنه، فمن أين له تلك الثقة؟! إن ثقته تلك حديث خرافة ابتداء؛ لأن جفري لم يستقرئ مفردات القرآن الكريم حتى يحكم بأن الجزء الأكبر من الكلمات الدينية والثقافية في القرآن له أصل أجنبي غير عربي، وإنها مناقضة صريحة لما فعله بعد ذلك؛ حيث عزم على أن يضمن في ملحق كتابه عن الألفاظ الأجنبية في القرآن نسخة محققة من كتاب "المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب" للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١هـ/١٥٠٥م، لكنه حذفه من النسخة النهائية التي

(١) الترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية (٥٩١/١).

صدرت ١٩٣٨م، وأبرز أهمية مصنف آخر للسيوطي في الباب نفسه، بعنوان "المتوكلي"[١]. وهو كتاب يصنف اللغات الأخرى التي انبثقت منها بعض المفردات القرآنية، ومنها اللغة الحبشية والفارسية واليونانية والهندية والسريانية والعبرية والنبطية والقبطية. ووصف كتاب السيوطي بأنه "أوسع كتاب في بابه يصل إلينا" لكنه رأى أن كثيرًا مما ورد فيه اعتمد على التخمين والحدس، وأن فقهاء اللغة الذين نقل عنهم السيوطي لم يكونوا على دراية كافية بمعنى المفردات اللغوية التي استخدموها[٢].

يظهر تناقض جفري في ثقته أن الجزء الأكبر من الكلمات الدينية والثقافية في

---

(١) ذكر الحافظ السيوطي في صدر هذا الكتاب سبب تسميته بهذا الاسم فقال: " وسبب تسميته بذلك أنه برز الأمر الشريف من مولانا الإمام الأعظم الهاشمي العباسي المتوكلي، أمير المؤمنين، وابن عم سيد المرسلين، ووارث الخلفاء الراشدين، الإمام المتوكل على الله – أدام الله عزه وأعز ببقائه الدين – أن أكتب له مؤلفًا في الألفاظ التي وقعت في القرآن الكريم، وذكر الصحابة والتابعون أنها بلغة الحبش أو الفرس أو غيرهم مما سوى العرب، فامتثلت ذلك، وألفت هذا الكتاب المختصر، ملخصًا من كتابي المبسوط المسالك، وسميته المتوكلي؛ اقتداء بالإمام أبي بكر الشاشي من أصحابنا؛ حيث ألف كتابًا في الفقه بأمر الخليفة المستظهر بالله، وسماه المستظهري، وبإمام الحرمين؛ حيث ألف كتابًا في الفقه باسم غياث الدين نظام الملك، وسماه الغياثي، وألف أيضًا مختصرًا لطيفًا سماه الرسالة النظامية، وبالإمام ابن فورك من أصحابنا؛ حيث ألف كتابًا في أصول الدين باسم نظام الملك أيضًا، وسماه النظامي، وبالإمام أبي الحسين بن فارس اللغوي؛ حيث ألف كتابًا في اللغة باسم الصاحب، وسماه الصاحبي، وبالإمام أبي علي الفارسي النحوي؛ حيث ألف كتابًا باسم السلطان عضد الدولة، وسماه العضدي، وبالقاضي عضد الدين؛ حيث ألف كتابًا في المعاني والبيان باسم السلطان غياث الدين، وسماه الفوائد الغياثية؛ فركبت عليه جوادهم" المتوكلي ص٢

(٢) الترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية (٥٩٢/١).

القرآن له "أصل أجنبي غير عربي من جهة، وعزمه على تضمين كتابه عن الألفاظ الأجنبية في القرآن نسخة من كتاب "المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب" للحافظ السيوطي من جهة أخرى، لكنه لم يفعل، وأبرز أهمية كتاب "المتوكلي" للحافظ السيوطي، وكل كتاب من الكتابين لم يتضمن سوى عشرات الكلمات المعربة — لو سلمنا وجود الكلمات المعربة بين دفتي المصحف الشريف — إذ عدَّ الحافظ السيوطي مائة وأربعًا وعشرين كلمة فقط في كتابه "المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب"، وهي نفس الكلمات التي أوردها في كتاب "المتوكلي"، لكنه في كتاب "المهذب" أوردها على ترتيب حروف الهجاء، فيذكر الكلمات التي بدأت بالهمزة كأباريق وأب، إلى أن يختم بالكلمات التي بدأت بالياء كياقوت ويصدون، وفي كتاب "المتوكلي" أوردها على حسب أصولها، فيبدأ بعنوان: ذكر ما ورد في القرآن بلغة الحبشة، ويثني بعنوان: ذكر ما ورد في القرآن بالفارسية، وهكذا إلى أن يختم بعنوان: ذكر ما جاء في القرآن بالبربرية، إضافة إلى كون كتاب "المتوكلى" أخصر من كتاب "المهذب"؛ لأنه لم يذكر في الأول كل الآثار الواردة التي يستند إليها في هذه القضية؛ إذ هو مختصر من كتاب المهذب؛ حيث يقول في مقدمته: " ... وألفت هذا الكتاب المختصر، ملخصًا من كتابي المبسوط المسالك، وسميته المتوكلي .."[1].

ومع هذا التناقض الصارخ بين القول الذي ذهب إليه والدليل الذي اعتمد عليه؛ حيث رأى الجزء الأكبر من كلمات القرآن الكريم له أصل أجنبي غير عربي، ثم اعتمد على كتابي الحافظ السيوطي الذي لم يحص سوى مائة وأربع وعشرين كلمة فقط رأى لها أصولًا غير عربية، فكيف تمثل هذه الكلمات الجزء الأكبر من كلمات القرآن الكريم التي قال الفيروزآبادي عن عددها: "اعلم أَنَّ كلمات القرآن مع أَوائل

(١) المتوكلي صـ ٢.

السّور – نحو حم والم – سبعون أَلفًا وسبعة آلاف وأَربعمائة وسبع وثلاثون كلمة"[1] بينما نسبتها أقل من اثنين في الألف من كلمات الذكر الحكيم؟!

مع هذا التناقض فإنني أن رأي جمهور العلماء هو الصواب، فلا توجد ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم سوى ما ورد فيه من أعلام أعجمية، وهذا لا ضير فيه على الإطلاق؛ إذ تنطق الأعلام الأعجمية كما يلفظ بها أهلها، وتنطق الأعلام العربية عند العجم كما يلفظ بها أهلها.

ومسك الختام في هذه المسألة اعتراف بأنني قد أسرتني عبارات المحقق الشيخ أحمد محمد شاكر الذي ذهب إلى عروبة الألفاظ التي ادعى البعض أنها معربة؛ حيث حقق كتاب "المعرَّب من الكلام الأعجمي" للجواليقي، وخالف ما ذهب إليه صاحب الكتاب من ترجيح وقوع المعرب في القرآن، بعد جريانه على لسان العرب، فيقول: "وهو قول ينبو عنه التحقيق، وإنما ذهب إليه من ذهب إعظامًا لما روي عن بعض الأقدمين في ألفاظ قرآنية أنها معربة، وعجزًا عن تحقيق صحة الرواية عنهم، وعن تحقيق صحة هذه الحروف في كلام العرب، ثم تقليدًا لأولئك القائلين، وجمعًا بين القولين زعموا. والقائلون بأن ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب، كالشافعي الإمام، وأبي عبيد، والقاضي أبي بكر الباقلاني، وأكثر أهل العلم من المتقدمين، لم يكن ليخفى عليهم أن الكلمة إذا أخذها العرب من غيرهم، وصاغوها على أوزان حروفهم، ودارت في أشداقهم، ومرنت عليها ألسنتهم، أنها صارت من لغتهم بالنقل والاقتباس، ولكنهم ذهبوا إلى معنى أعلى، وفقهٍ في اللغة والقرآن أسمى. ذهبوا إلى أن هذا الكتاب المعجز العربي المبين، كما جاء هدًى للناس، وداعيًا إلى الله مرشدًا، وذكرًا للعرب وشرفًا، جاء حافظًا لغتهم، موحدًا لما اختلف من لهجاتهم، جامعًا ما تفرقت

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٥٦١/١).

به ألسنة القبائل، على أفصح اللهجات، وأبين الألسنة، وأنقى الألفاظ، وقد فعل. فهم يرون أن هذا القرآن، وقد امتن الله فيه على العرب بأنه عربي، في آيات متكاثرة متواترة، وهذا المقصد من لغة العرب من مقاصده، لا يعقل أن تكون كلمة من كلماته – حاشا الأعلام – دخيلة على لغة العرب، ثم من يقول هذا؟ يقوله أعلم العلماء بالعربية، وأفصح الناس قيلًا بعد الصدر الأول، الإمام الشافعي"(١).

الوهم الثاني: القرآن الكريم مقتبس من المصادر الكتابية والأدبية:

نسب الدكتور مصطفى شاه إلى بعض المستشرقين الادعاء بأن القرآن الكريم مقتبس من المصادر الكتابية والأدبية؛ بناء على دعواهم بوجود كلمات أجنبية بين مفردات الكتاب العربي، وراح يسرد عددًا من البحوث التي كتبها هؤلاء المستشرقون في هذا الصدد؛ فقال: " لقد كان من بين المحاور الأساسية في الدراسات المبكرة للنص القرآني تلك الفرضية التي ترى أن القصص القرآني والأمثال والخطوط العريضة في القرآن مستخلصة من عدد من المصادر الكتابية، سواء التقليدية أو المنحولة، وسعت بعض الدراسات المبكرة إلى جذب الأنظار إلى المصادر والآثار اليهودية التي يمكن تتبعها في القرآن، وجاء في مقدمة هذه الأعمال دراسة كتبها إبراهام جيجر باللاتينية، ونال عنها جائزة الدولة وترجمت لاحقًا إلى الألمانية، وكان عنوانها "ماذا أخذ محمد عن اليهودية؟" (١٨٣٣م). وتجلت قضية الآثار اليهودية في كتابات هارتفيج هرشفيلد الذي ألف عددًا من الدراسات في هذا الموضوع، من بينها دراسة صدرت سنة ١٨٧٨م بعنوان "العناصر اليهودية في القرآن"، وأخرى سنة ١٨٨٦م بعنوان "إسهامات في تفسير القرآن"، فضلًا عن دراسة تالية بعنوان "أبحاث جديدة في تأليف القرآن وتفسيره" سنة ١٩٠٢م، وفيها جزم بأن "القرآن ليس سوى نسخة

(١) مقدمة المحقق الشيخ شاكر لكتاب المعرب للجواليقي صـ ١١، ١٢ .

مقلدة من الكتاب المقدس، وأن حالته الفوضوية مؤشر على محتواه" .... كذلك من بين الدراسات التي عنيت بهذه المسألة دراسة في عام ١٩٣١م لهاينريش شباير حول القصص الكتابي في القرآن، سعت لإبراز القصص التي استقاها القرآن من الكتاب المقدس، كذلك كان البحث عن آثار وموضوعات مسيحية محددة في القرآن سمة مميزة لعدد من الدراسات، من بينها دراسة ريتشارد بيل سنة ١٩٢٥م بعنوان "أصل الإسلام في بيئته المسيحية"، وأخرى بعنوان "أصل الإسلام والمسيحية" لتور أندريا سنة ١٩٢٦م، تناول فيها الصلة بين الإسلام والمسيحية"[(١)].

وهذه دعوى أوهى من سابقتها؛ إذ تعتمد بشكل رئيس على دعوى اشتمال القرآن الكريم على ألفاظ أجنبية، وقد تبين مما سبق تهافت هذه الدعوى، ويمكن أن أضيف نقاطًا أخرى تتمثل في الآتي:

أولًا: أن وقائع التاريخ الثابتة لا مجال لتجاوزها بحال، وقد أكدت تلك الوقائع أمرين:

أولهما: أنه صلوات ربي وسلامه عليه كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، وما دام الأمر كذلك فإن هذه الأمية تقف عقبة كبيرة أمام دعوى اقتباس القرآن من كتب أهل الكتاب التي يرددها هؤلاء المستشرقون؛ إذ يستحيل عقلًا أن يقتبس من لا يحسن القراءة والكتابة هذا الكتاب العظيم من كتب أهل الكتاب السابقين.

ومما يدل على ذلك أن كتب السير والتاريخ وثقت أن الرسول الكريم لم يكتب الوحي بنفسه، ولم يكتب رسائله إلى الملوك والرؤساء بنفسه، بل اتخذ كُتَّابًا للوحي، وأملى رسائله إلى الملوك والرؤساء على كاتبيها.

ولم يفرق كُتَّاب السير بين كتاب الوحي وكتاب النبي صلى الله عليه وسلم، بل

---

(١) الترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية (١/٥٨٣، ٥٨٤).

جمعوا بينهم تحت عنوان واحد؛ حيث ذكر ابن مفلح بعضهم فقال: " وقد كتب لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – جماعة منهم: أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعلي، وعثمان، وحنظلة الأَسَدي، ومعاوية، وعبد الله بن الأرقم، وكان كاتبه المواظب على الرسائل والأجوبة، وهو الذي كتب الوحي كله وأمره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يتعلم كتاب السريانية ليجيب عنه من كتب إليه بها، فتعلمها في ثمانية عشر يومًا"(١).

وأبرز من فعل ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله، حيث أورد أسماء ثلاثة وعشرين كاتبًا من الصحابة الأعلام تحت عنوان: كتاب الوحي وغيره بين يديه صلوات الله وسلامه عليه ورضي عنهم أجمعين(٢)، ذكر منهم الخلفاء الأربعة، وأخبر أنه سيأتي ترجمة كل واحد منهم في أيام خلافته، وذكر الباقين واحدًا واحدًا مترجمًا لكل كاتب منهم.

وإذا أردت أسماءهم فهم السادة : الخلفاء الأربعة أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأبان ابن سعيد بن العاص، وأبي بن كعب، وأرقم بن أبي الأرقم، وثابت بن قيس بن شماس، و خالد ابن سعيد بن العاص، وخالد بن الوليد، والزبير بن العوام، وزيد بن ثابت، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق، و عبد الله بن أرقم بن أبي الأرقم، وعبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري الخزرجي صاحب الأذان، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، والعلاء بن الحضرمي، وشريح بن الحضرمي، والعلاء بن عقبة، ومحمد بن مسلمة، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة الثقفي.

فإن قلت: أين الكاتب الثالث والعشرون؟ قلت: حكم الحافظ ابن كثير على

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/١٦٠)

(٢) البداية والنهاية (٥/٣٦١)

الروايات الواردة في شأنه بالوضع فقال ما ملخصه: " ومنهم السجل، كما ورد به الحديث المروي في ذلك عن ابن عباس – إن صح – وفيه نظر. قال أبو داود: حدثنا قتيبة بن سعيد، ثنا نوح بن قيس، عن يزيد بن كعب، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: السِّجِلُّ كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم[1]... وقد عرضت هذا الحديث على شيخنا الحافظ الكبير أبي الحجاج المزي فأنكره جدا، وأخبرته أن شيخنا العلامة أبا العباس ابن تيمية كان يقول: هو حديث موضوع، وإن كان في سنن أبي داود، فقال شيخنا المزي: وأنا أقوله"[2].

والعجيب أن الحافظ ابن كثير ذكرهم بالترتيب الأبجدي، قدم الخلفاء الأربعة أولًا بترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة؛ ثم ذكرهم مرة أخرى في مواضعهم من الترتيب الأبجدي، فيذكرهم مع الصحابة الذين بدأت أسماؤهم بالعين المهملة، فيذكر أبا بكر باسمه عبد الله بن عثمان، ثم عثمان بن عفان، ثم علي ابن أبي طالب، ثم عمر بن الخطاب.

والناظر في هذه النقول لا يجد من فرَّق بين كتاب الوحي وغيرهم، بل ذكروا أسماء الصحابة الكاتبين جميعًا تحت عنوان: كتّابه صلى الله عليه وسلم، أو كتاب الوحي وغيره بين يديه صلى الله عليه وسلم.

ولكني وجدت الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله قد نسب عبارة للقُضاعي في التفرقة فقال: " وقال القُضاعي: كان زيد بن ثابت يكتب عنه للملوك، مع ما كان يكتب من الوحي، وكان الزبير وجهم يكتبان أموال الصدقات"[3].

ومعنى هذه العبارة: أن زيدًا كان يكتب الوحي ويكتب للملوك، أي: هو من

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج، باب في اتخاذ الكاتب (١٣٢/٣)ح: ٢٩٣٥

(٢) البداية والنهاية (٣٦٩/٥)

(٣) التلخيص الحبير (٤٥٦/٤)

كتاب الوحي ومن كتابه صلى الله عليه وسلم في آن واحد، بينما الزبير وجهم من كتابه صلى الله عليه وسلم، وليسا من كتاب الوحي؛ إذ اختصهما صلى الله عليه وسلم بكتابة أموال الصدقات.

لكن بعض المستشرقين يرون أن الأمي يعني الوثني[1]، وهذا يتعارض تمامًا مع سيرته صلوات الله عليه؛ إذ لم يكن وثنيًّا قط، بل عصمه ربه من أدران الوثنية كلها، ويتعارض مع لغة العرب، التي لم يرد فيها أن الأمي بمعنى الوثني، ويتعارض مع وصف الله تعالى لنبيه صلوات الله عليه بالنبي الأمي؛ إذ كيف يكون نبيًّا وثنيًّا؟!!

وقد أكدت النصوص القرآنية والنبوية تلك الحقيقة؛ فقد وصف القرآن الكريم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبي الأمي في أكثر من آية، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] ووصف الرسول الكريم صلوات الله عليه الذين أرسل فيهم بالأمية فقال: "إنا أمة أمية، لا نكتُب ولا نحسُب، الشهر هكذا وهكذا" يعني مرة تسعة وعشرين، ومرة ثلاثين[2].

---

(١) ينظر: دفاع عن القرآن ضد منتقديه صـ ١٤.

(٢) أخرجه الإمام البخاري، كتاب الصوم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا نكتب ولا نحسب"(٣/٢٧)ح: ١٩١٣.

وقد أبدع الدكتور عبد الرحمن بدوي في انتقاد هؤلاء الذين يدَّعون اقتباس القرآن الكريم من المصادر الكتابية فقال ساخرًا: " ... ولكي نفترض صحة هذا الزعم؛ فلابد أن محمدًا كان يعرف العبرية والسريانية واليونانية، ولا بد أن يكون لديه مكتبة عظيمة، اشتملت على كل نصوص التلمود والأناجيل الصحيحة، وكذلك بعض أعمال الآباء اليونانيين، وكتب مختلف الكنائس والمذاهب المسيحية. هل يمكن أن يعقل هذا الكلام الشاذ لهؤلاء الكتاب، وهو كلام لا برهان عليه ... إن حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل ظهور رسالته وبعدها معروفة للجميع – على الأقل في مظاهرها الخارجية – ولا أحد قديمًا أو حديثًا يمكن أن يؤكد أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم كان يعرف غير العربية؛ إذًا كيف يمكن أن يستفيد من هذه المصادر كما يدعون؟!!"(١).

فإن قالوا: ورد في الصحيح أنه صلوات ربي عليه كتب؛ فقد أخرج الإمام البخاري بسنده عن البراء رضي الله عنه، قال: لما اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة، حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب، كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لا نقر لك بهذا، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئًا، ولكن أنت محمد بن عبد الله، فقال: "أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله"، ثم قال: لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: "امح رسول الله"، قال علي: لا والله لا أمحوك أبدًا، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب، وليس يحسن يكتب، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع من أصحابه أحدا، إن أراد أن يقيم بها ...."(٢).

---

(١) دفاع عن القرآن ضد منتقديه صـ ٢٤.

(٢) أخرجه الإمام البخاري، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء (١٤١/٥) ح: ٤٢٥١.

قلت: بين شراح الحديث أن المراد بقول سيدنا البراء: "فكتب": أنه صلى الله عليه وسلم أمر سيدنا عليّا كاتب الصلح أن يكتب.

قال الحافظ ابن حجر: " .... وقد صرح في حديث المسور بأن عليًّا هو الذي كتب؛ فيحمل على أن النكتة في قوله: "... فأخذ الكتاب، وليس يحسن يكتب" لبيان أن قوله: "أرني إياها" أنه ما احتاج إلى أن يريه موضع الكلمة التي امتنع علي من محوها إلا لكونه كان لا يحسن الكتابة، وعلى أن قوله بعد ذلك: "فكتب" فيه حذف تقديره: فمحاها فأعادها لعلي فكتب، وبهذا جزم بن التين، وأطلق كتب بمعنى أمر بالكتابة، وهو كثير ،كقوله: كتب إلى قيصر، وكتب إلى كسرى، وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم – وهو لا يحسن الكتابة – أن يصير عالما بالكتابة، ويخرج عن كونه أميًّا؛ فإن كثيرًا ممن لا يحسن الكتابة يعرف تصور بعض الكلمات، ويحسن وضعها بيده – وخصوصا الأسماء – ولا يخرج بذلك عن كونه أميًّا، ككثير من الملوك، ويحتمل أن يكون جرت يده بالكتابة حينئذ – وهو لا يحسنها– فخرج المكتوب على وفق المراد، فيكون معجزة أخرى في ذلك الوقت خاصة، ولا يخرج بذلك عن كونه أميًّا ... وتعقب ذلك السهيلي وغيره بأن هذا وإن كان ممكنًا، ويكون آية أخرى، لكنه يناقض كونه أميًّا لا يكتب، وهي الآية التي قامت بها الحجة، وأفحم الجاحد، وانحسمت الشبهة، فلو جاز أن يصير يكتب بعد ذلك لعادت الشبهة، وقال المعاند: كان يحسن يكتب، لكنه كان يكتم ذلك.

قال السهيلي: والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضًا والحق أن معنى قوله: "فكتب" أي: أمر عليًّا أن يكتب انتهى. وفي دعوى أن كتابة اسمه الشريف فقط على

هذه الصورة تستلزم مناقضة المعجزة وتثبت كونه غير أمي نظر كبير. والله أعلم"[1].

ثانيهما: أي: ثاني ما أكدته الوقائع التاريخية الثابتة: أنه صلوات ربي وسلامه عليه لم يجالس رهبان أهل الكتاب قبل انطلاق دعوته إلا مرتين اثنتين فقط، مرة في صباه وهو في الثانية عشرة من عمره، ومرة في شيخوخته حين تجاوز الأربعين.

أما المرة الأولى فقد لقي بحيرى الراهب، وهو في طريق رحلته إلى بلاد الشام للتجارة بصحبة عمه أبي طالب، وفي هذا اللقاء دار الحوار عن بعض أحواله صلى الله عليه وسلم؛ إذ جعل بحيرى يسأله عن أشياء من حاله في نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته، ثم نظر إلى ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده. فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال له بحيرى: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًّا، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرًّا؛ فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم[2].

وأما المرة الثانية فقد لقي ورقة بن نوفل حين نزل عليه ملك الوحي؛ إذ أخذته زوجه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها إلى ابن عمها ورقة الذي اطلع على كتب السابقين، فلما أخبره بما رأى وسمع قال له: " هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أو مخرجي هم"، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت

(١) ينظر: فتح الباري (٧/٥٠٤).

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام (١/١٨٢).

به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا". ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي(١).

فهل يتصور عاقل أن يكون أحدهما معلمًا له، بعد أن تبين بجلاء أن أولهما رأى علامات النبوة قبل وقوعها فبشره بها، وأن الثاني تأكد من نزول الرسالة الأخيرة عليه فآمن بها؟!! هذا ما في كتبنا التي قصت علينا أخباره صلوات الله عليه، فهل عند القوم غير ذلك؟!!

أما بعد انطلاق دعوته فقد جالسهم كثيرًا ليجيب عن أسئلتهم ويصحح انحرافاتهم؛ فكان صلوات الله عليه هو المعلم الذي يتلقون عنه.

وقد أبدع العلامة محمد عبد الله دراز – رحمه الله – في سرد الدلائل على ذلك فقال: " يقول الملحدون أنفسهم: "إن القرآن هو الأثر التاريخي الوحيد الذي يمثل روح عصره أصدق تمثيل". وهذه كلمة حق في حدود معناها الصحيح، فنحن نأخذهم باعترافهم وندعوهم إلى استجلاء تلك الصورة التي حفظها القرآن في مرآته الناصعة مثالًا واضحًا لعلماء عصره. فيقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران؛ وما فيهما من المحاورة لعلماء اليهود والنصارى في العقائد والتواريخ والأحكام، أو ليقرؤوا ما شاءوا من السور المدنية أو المكية التي فيها ذكر أهل الكتاب، ولينظروا بأي لسان يتكلم عنهم القرآن، وكيف يصور لنا علومهم بأنها الجهالات، وعقائدهم بأنها الضلالات والخرافات، وأعمالهم بأنها الجرائم والمنكرات.

فإن أنت أحببت زيادة البيان فإليك نموذجًا من وصفه وتفنيده لأغلاطهم ومغالطاتهم التاريخية: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [آل عمران: ٦٥]، ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ

(١) أخرجه الإمام البخاري، باب بدء الوحي (٧/١) ح: ٣.

وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٠]، ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ آل عمران: ٩٦](١)، ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾[آل عمران: ٩٣](٢).

وهذا طرف من وصفه وتفنيده لخرافاتهم الدينية: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨](٣)، ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾[البقرة: ١٠٢](٤)، ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾[آل عمران: ١٨١]، ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠]، ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾[المائدة: ١٨].

وهذه سلسلة أخرى من جرائمهم يسردها القرآن متواصلة الحلقات: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾إلى أن قال: ﴿ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ ﴾[النساء: ١٥٥: ١٦١].

فهل ترى في هذا كله صورة أساتذة يتلقى عنهم صاحب القرآن علومه؟! أم بالعكس ترى منه معلمًا يصحح لهم أغلاطهم وينعي عليه سوء حالهم"(٥).

---

(١) وهي جواب عن قولهم: قبلتنا قبل قبلتكم.

(٢) وهي رد لدعواهم أن الإبل كانت محرمة على إبراهيم عليه السلام.

(٣) وهي تكذيب لقولهم: إن الله بعد أن خلق الخلق في ستة أيام، استراح في اليوم السابع.

(٤) وهي تبرئة له من زعمهم أنه لم يكن نبيًّا بل كان ساحرًا يركب الريح.

(٥) ينظر: النبأ العظيم صـ ٨٨ وما بعدها بتصرف واختصار.

إن كل صاحب نظر سديد يرى صاحب القرآن الكريم معلمًا يصحح لهم أغلاطهم التاريخية والدينية، وينعي عليهم ما اقترفوه من جرائم، وما ابتدعوه من خرافات، من خلال ما نزل عليه؛ فكيف يدَّعي هرشفيلد بعد ذلك تلك الدعوى الظاهرة البطلان فيقول: " ... "القرآن ليس سوى نسخة مقلدة من الكتاب المقدس، وأن حالته الفوضوية مؤشر على محتواه"؟!!

ثانيًا: لم يذكر الدكتور مصطفى شاه نماذج تطبيقية على اقتباس القرآن الكريم القصص والأمثال والخطوط العريضة من المصادر الكتابية، وإنما اكتفى بنقل العبارة التي قالها هرشفيلد، لكن الدكتور عبد الرحمن بدوي ذكر بعض النماذج التطبيقية من كتابات المستشرقين الذين يدعون اقتباس القرآن الكريم من الأسفار والمزامير، ثم بين بطلان دعوى الاقتباس؛ لتباين ما بين النصين المذكورين تباينًا ظاهرًا.

ومما ذكره الدكتور عبد الرحمن بدوي أن هيرشفيلد صاحب كتاب "بحوث جديدة في فهم وتفسير القرآن" لندن ١٩٠٢م، يرى أن هناك بعض التشابه بين القرآن والتوراة؛ إذ الآية الخامسة من سورة الرحمن ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴾ تشبه الآية الثامنة من سفر المزمور (١٣٦) في العهد القديم "الشمس لحكم النهار"، والآية السادسة من السورة ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾ تشبه الآية التاسعة من سفر المزمور "والكواكب لحكم الليل"، والآية السابعة من السورة ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴾ تشبه الآية الخامسة من السفر "الصانع السماوات بفهم"، والآية العاشرة من السورة ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴾ تشبه الآية السادسة من السفر "الباسط الأرض على المياه".

ثم يدعو الدكتور عبد الرحمن كل قارئ أن يتمعن في النصين ويوضح وجه الشبه بينهما، ثم يقرر أنه لا يوجد أي شبه بينهما؛ فالقرآن يتحدث عن السمة الدائرية لحركة الشمس والقمر، بينما لا يذكر المزمور عن ذلك أي كلمة، والقرآن يؤكد أن

الأعشاب والأشجار تسجد لله عز وجل، وهذه فكرة غائبة بالكلية في المزمور، والقرآن يتحدث عن فعل الله في رفع السماء، بينما يتحدث المزمور عن الحكمة التي بها خلق الله السماوات، وأكد القرآن أن الله وضع الأرض لصالح الإنسانية جمعاء، بينما تتحدث الآية السادسة في المزمور عن ظاهرة جغرافية بسيطة وهي أن الأرض تتمدد فوق المياه.

ثم يتساءل الدكتور عبد الرحمن: إذًا أين وجه الشبه بين القرآن والمزامير في هذا النص؟! أيَّ تهيؤات جعلت هيرشفيلد يؤمن بوجود وجه شبه أو ربما اقتباس هنا؟!![1]

ثم أورد نماذج متعددة زعم هيرشفيلد أنها تشبه القرآن، وقارن بين كل نصين كما صنع آنفًا، ثم قرر في النهاية أن هذا الكاتب زعم وجود أوجه تشابه وتماثل، بينما في الحقيقة لا يوجد شيء من ذلك، وقال: " وهذا يثبت أنه كان ضحية لهوس مرضي سببه ذلك التعصب الأعمى المختلط بالزهو والغرور .... إنه يصل بهذا السخف إلى نهايته حين يقرر أن القرآن — وهو نص الإسلام المكتوب- ليس إلا تحريفًا للتوراة ... إننا نجد أيضًا ذلك العمى المرضي في مقالة "العناصر اليهودية في القرآن" ... وكذلك في كتابه "مساهمات حول تفسير القرآن ... ولذلك فهذه الكتب لا تستحق أن ندرسها"[2].

وإذا تبين لنا هذا التعصب المقيت، وظهرت لنا تلك الادعاءات الكاذبة، فلا مناص من الإقرار بأن هؤلاء المستشرقون قد خالفوا المنهجية العلمية التي يدَّعون.

ثالثًا: إذا وجد تشابه بين القرآن الكريم والكتب السابقة في بعض القصص والمواعظ وأخبار الآخرة فهذا لا يعني أن القرآن الكريم قد اقتبس من تلك الكتب، بل

---

(١) ينظر: دفاع عن القرآن ضد منتقديه صـ ٢٥.

(٢) ينظر: المرجع السابق صـ ٣١.

هذا يعني أن مصدر الرسالات السماوية واحد، هذا المصدر هو الوحي الإلهي.

وقد تتابعت النصوص القرآنية الدالة على تكرار بعض المواعظ في الكتب السماوية، من ذلك قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ٣٨ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ٤١ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾[النجم: ٣٦: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[الأعلى: ١٤: ١٩]. ومن ثم قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ [آل عمران: ٣]: " يقول جل ثناؤه: يا محمد، إنّ ربك وربَّ عيسى وربَّ كل شيء، هو الرّبّ الذي أنزل عليك الكتاب، يعني بـ"الكِتَابِ": القرآن، "بِالحَقِّ" يعني: بالصّدق فيما اختلف فيه أهل التوراة والإنجيل، وفيما خالفك فيه محاجُّوك من نصارى أهل نجران وسائر أهل الشرك غيرهم، "مُصَدّقًا لما بين يديه" يعني بذلك القرآن، أنه مصدّق لما كان قبله من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه ورسله، ومحقق ما جاءت به رُسل الله من عنده؛ لأن منزل جميع ذلك واحد، فلا يكون فيه اختلاف، ولو كان من عند غيره كان فيه اختلاف كثير"(١).

وبناء على ذلك يظهر تهافت دعوى اقتباس القرآن الكريم من المصادر الكتابية والأدبية، وبان لكل من لديه أدنى إنصاف مدى انحراف المستشرقين عن المنهجية العلمية، وتأكد لكل منصف حجم تعصبهم لأفكارهم التي تتصادم مع كل القواعد العلمية.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٦/١٦٠).

الوهم الثالث: وجود أخطاء في رسم النص القرآني أدت إلى اختلاف المفسرين حول دلالات بعض المفردات القرآنية:

نسب الدكتور مصطفى شاه إلى جيمس بيلامي دعوى وجود أخطاء في رسم النص القرآني، وهذه الأخطاء في الرسم أدت إلى اختلاف المفسرين حول دلالات بعض المفردات القرآنية.

يقول الدكتور مصطفى: " ... ورأى بيلامي أن الخلاف الذي وقع بين المفسرين القدامى في معنى الكلمات أو العبارات القرآنية نتج في الغالب عن "خطأ في النص، لا أن النص كان صوابًا، وفهمه بعض المفسرين دون الآخرين". وقد سعى في دراسته إلى بيان هذه الأخطاء التي عزاها إلى الكتبة والنساخ، واقترح لها تصويبات محتملة. واعترض بيلامي على التوجه الذي سلكته الدراسات الحديثة في التذرع بالبراهين الاشتقاقية بدلًا من الإقبال على التصويب"[(١)].

لم يصغِ جيمس بيلامي لنصيحة أستاذه روزنتال؛ إذ نصحه ألا يفرط فيما يأتي به من تصويبات؛ حتى لا تقابل بالرفض إذا جاوزت الحد وجارت عن القصد.

لكن جيمس بيلامي جاوز الحد وجار عن القصد – رغم أنه وصف جهوده الشخصية بالمنطقية- ومن ثم حكم عليه الدكتور مصطفى شاه بأنه تجاوز الحد في كثير من هذه التصويبات التي استند فيها إلى حكمه المجرد على النص، وتقديره "لمدى إفادته معنى مفهومًا"، بعيدًا عن أي شاهد من التراث المخطوط للقرآن[(٢)].

والحق الذي لا مراء فيه أن جيمس بيلامي تجاوز الحد حين أقدم على ما يدعيه تصويبًا للمفردات القرآنية استنادًا إلى حكمه المجرد على النص، وذلك لسببين اثنين:

---

(١) الترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية (٥٩٧/١).

(٢) ينظر: الترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية (٥٩٧/١).

أولهما: أن المفردات القرآنية ليست محلًّا للتصويب بحال؛ لأنها منزلة من لدن حكيم عليم، وهو سبحانه أعلم بما ينزل، ولو كانت المفردات القرآنية قابلة لوجهات النظر الشخصية، لأدى ذلك إلى ظهور عدد كبير جدًّا من نسخ القرآن الكريم، يضاهي عدد وجهات النظر المختلفة في مفرداته، وبذلك يصير القرآن الكريم منتجًا بشريًّا لا نصًّا إلهيًّا مقدسًا، وهذا عين ما يردده المستشرقون في كل عصر ومصر.

ثانيا: أن اتهام الكتبة والنساخ بالخطأ في كتابة بعض المفردات القرآنية كلام سخيف، يردده أرباب مدارس الاستشراق بلا وعي؛ لأنهم يعتقدون أن هذه الأمة اعتمدت على التلقي الكتابي للقرآن الكريم، ويغفلون أو يتغافلون عن اعتماد هذه الأمة على التلقي الشفاهي للنص القرآني في المقام الأول.

وقد زعم المستشرق الفرنسي جولد تسيهر من قبل أن السبب الأول لنشأة قسم كبير من اختلاف القراءات القرآنية هو تجرد الخط العربي الذي رسم به القرآن من النقط والشكل، مع أن خصوصية الخط العربي أن هيكله المرسوم يقدم — عند إرادة النطق بمحتواه — مقادير صوتية مختلفة تبعا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته، وعدد تلك النقاط، وأنه حتى في حال تساوي المقادير الصوتية يؤدي اختلاف الحركات إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة، وبالتالي إلى اختلاف دلالتها.

وقد تكفل شيخنا العلامة إبراهيم عبد الرحمن خليفة — رحمه الله- بالرد على هذه الشبهة؛ فقال ما ملخصه: " وردنا على هذا أنه جهل فاضح بطبيعة تعلم الأمة للقرآن، والتي لازمت تعلمه منذ تبليغ النبي ﷺ لأول آية منه إلى يومنا هذا، والتي تتمثل في اعتماد الأمة فيه على التلقي الشفاهي المسلسل المتواتر إلى النبي ﷺ ، وأن طبيعة تعلم القرآن لم تتمثل في يوم من الأيام على الإطلاق في الأخذ من المصحف والاعتماد في قليل أو كثير على مجرد الرسم كما توهم فادعَى.

والحاصل أن الرجل قد صور له وهمه الخادع هاهنا أمرين لا ثبات لأي منهما –

فضلًا عن جميعهما- بحال من الأحوال:

أولهما: أن الأمة الإسلامية قد اعتمدت في أخذ كتابها على مثل ما اعتمد عليه غيرها من النقل من الصحف المكتوبة والقراءة من الخط المرسوم فحسب.

وقد عرفت أن هذا هو أبعد ما يكون عن تلقي الأمة لكتابها بشهادة ثلاثة شهود عدول:

الأول: الواقع المحس المشاهد والمتمثل في تلقي التلاميذ القرآن عن شيوخهم.

الثاني: التاريخ الثبت الناطق باستمرار هذا الواقع واتصال حلقاته، وحسبك أنك لا تزال ترى محفظي القرآن يعطون تلاميذهم إجازة تتضمن سند تلقيه المتصل عنهم إلى النبي د.

الثالث: المعقول؛ فإن كون القرآن هو الأصل الأول والمصدر الرئيس والمعجزة الكبرى الباقية لهذا الدين يقتضي تواتره.

أما ثاني الأمرين اللذين صورهما له وهمه الخادع فهو: أن تكون الصلة بين آخر هذه الأمة وأولها قد انقطعت في وقت مبكر لسبب من الأسباب، بحيث استحال على الآخِرين أن يتلقوا القرآن من أفواه الأولين المتلقين له بدورهم عن النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يجدوا سبيلًا لتعلم القرآن إلا في مجرد الأخذ من المصحف.

نقول: لم تع ذاكرة التاريخ مثل هذا السبب على الإطلاق، بل على العكس من ذلك، فقد وعت لنا ذاكرة التاريخ الثبت باعتراف أعداء القرآن قبل أوليائه اتصال حلقات سلسلة الآية"[1].

وبعد هذه الأوهام العامة التي لا تستند إلى برهان علمي، ذكر المستشرقون نماذج تطبيقية على تلك الأوهام، ينبغي أن أتوقف عندها قليلًا.

---

(١) ينظر: دراسات في مناهج المفسرين صـ٩٩: ١٠٣ بتصرف واختصار.

المطلب الثاني

نقض أوهام تطبيقية حول مفردات القرآن الكريم

لم يكتف المستشرقون بالنظريات العامة حول مفردات القرآن الكريم، بل طبقوا تلك النظريات على بعض المفردات القرآنية، فرأى بعضهم غموض هذه المفردات على المفسرين، وزاد آخرون أن سبب هذا الغموض هو أعجمية تلك المفردات، ومن ثم أردت الوقوف قليلًا مع تلك الأمثلة التطبيقية لبيان زيفها وعدم مصداقية قائليها.

المثال الأول: المفردة القرآنية "الصابئون":

يقول الدكتور مصطفى شاه: " ... وأكد آرثر جفري على أن محاولات شرح المادة المعجمية في القرآن تكشف الكثير عن الاستخدام المتأخر للغة، والتطورات الأخيرة التي لحقت بالتفسير أكثر مما تقوله عن دلالة هذه المادة نفسها في زمن النبي. وسلط الضوء على ما رأى أنه نزوع من المفسرين القدامى إلى حشو قدر هائل من الآراء المتباينة في بيان معنى المفردات المختلفة، وخلص من ذلك إلى ضرورة أن تكون البوصلة الدلالية لهذه الألفاظ والعبارات قد فقدت. ولتوضيح هذه النقطة أبرز تناول المفسرين لمعنى كلمة "صابئون"، وما ساقوه من أقوال متضاربة. وتساءل في تهكم: كيف يعجز المفسرون القدامى عن وصف حقيقة فئة من الناس، عاشت في زمن النبي، وحظيت بتقدير خاص، وإشادة في القرآن بوصفها لا خوف عليها، ثم يمكننا الاعتماد عليهم في بيان المعنى الصحيح لمفردات ربما تكون تافهة نسبيًّا إذا قورنت بها؟"[1]

هذا كلام آرثر جفري عن إحدى مفردات القرآن الكريم، وهو كلام فيه ما فيه من سقطات وافتراءات، وسيكون الرد على هذا الكلام من عدة وجوه:

---

(١) الترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية (٥٩١/١).

أولها: لا أوافق على ما ذهب إليه من كون البوصلة الدلالية لبعض الألفاظ قد فقدت؛ إذ اشتق لفظ "صابئون" من مادة صبأ، وهذه المادة من المواد المعجمية العربية الأصيلة؛ فقد ذكر ابن منظور تلك الكلمة ومادتها، فقال: " الصابئون: قوم يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام، بكذبهم .... وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم: قد صبأ، عنَوا أنه خرج من دين إلى دين. وقد صبَأ يصبَأ صبْأً وصُبُوءًا، وصبُؤ يصبُؤ صبْأ وصُبوءا كلاهما: خرج من دين إلى دين آخر، كما تصبَأ النجوم أي تخرج من مطالعها"(١).

ثانيها: لا أسلم أن المفسرين قاموا بحشو قدر هائل من الأقوال المتضاربة في بيان معنى هذه المفردة، بل اتفقوا جميعًا على دلالة المفردة من جهة اللغة، ثم تنوعت أقوالهم في تحديد ماهية هذه الفئة من الناس؛ حيث ذكر الإمام ابن الجوزي في الصابئين سبعة أقوال:

أحدها: أنه صنف من النصارى ألين قولًا منهم، وهم السائحون المحلَّقة أوساط رؤوسهم، روي عن ابن عباس.

والثاني: أنهم قوم بين النصارى والمجوس، ليس لهم دين، قاله مجاهد.

والثالث: أنهم قوم بين اليهود والنصارى، قاله سعيد بن جبير.

والرابع: قوم كالمجوس، قاله الحسن والحكم.

والخامس: فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور، قاله أبو العالية.

والسادس: قوم يصلون إلى القبلة، ويعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور، قاله قتادة.

والسابع: قوم يقولون: لا إله إلا الله، فقط، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي، قاله ابن زيد(٢).

---

(١) ينظر: لسان العرب (١٠٧/١) مادة: صبأ.

(٢) ينظر: زاد المسير (٧٣/١).

واختار الإمام الرازي — بعد أن ذكر بعض الأقوال في بيان ماهيتهم – أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب بمعنى أن الله جعلها قبلة للعبادة والدعاء، أو بمعنى أن الله فوض تدبير أمر هذا العالم إليها(١).

وقد ذكر الإمام ابن حزم ذلك في كتابه الفِصَل؛ حيث أخبر أن الصابئين يقولون بتعظيم الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر، ويصورونها في هياكلهم ... ولهم صلوات خمس في اليوم والليلة – تقرب من صلوات المسلمين– ويصومون شهر رمضان، ويستقبلون في صلاتهم الكعبة والبيت الحرام، ويعظمون مكة والكعبة، ويحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير، ويحرمون من القرائب ما يحرم على المسلمين، حتى آل الأمر مع طول الزمان إلى عبادة الكواكب ... وكان الذي ينتحله الصائبون أقدم الأديان على وجه الدهر والغالب على الدنيا، إلى أن أحدثوا فيه الحوادث وبدلوا شرائعه؛ فبعث الله عز وجل إليهم إبراهيم خليله صلى الله عليه وسلم بدين الإسلام – الذي نحن عليه الآن– وتصحيح ما أفسدوه بالحنيفية السمحة التي أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم ... فبين لهم كما نص في القرآن بطلان ما أحدثوه من تعظيم الكواكب وعبادتها وعبادة الأوثان(٢).

وقد اختار الحافظ ابن كثير أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتنونه، ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابئ، أي أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك(٣).

ثالثها: لو سلمنا عدم تحديد ماهية هذه الفئة فلا ضير في ذلك؛ لأن الحق سبحانه

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٥٣٦/٣).

(٢) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣٧/١).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤١٣/٥).

أراد أن يخبرنا أن أرباب الملل والنحل جميعًا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون إذا آمنوا بالله واليوم الآخر إيمانًا صحيحًا وعملوا عملًا صالحًا، ومن ثم قال الإمام الرازي: " ... ثم إنه سبحانه بين في هذه الفرق الأربعة، أنهم إذا آمنوا بالله فلهم الثواب في الآخرة؛ ليعرف أن جميع أرباب الضلال إذا رجعوا عن ضلالهم، وآمنوا بالدين الحق، فإن الله سبحانه وتعالى يقبل إيمانهم وطاعتهم، ولا يردهم عن حضرته البتة، واعلم أنه قد دخل في الإيمان بالله الإيمان بما أوجبه، أعني الإيمان برسله ودخل في الإيمان باليوم الآخر جميع أحكام الآخرة، فهذان القولان قد جمعا كل ما يتصل بالأديان في حال التكليف وفي حال الآخرة من ثواب وعقاب"(١).

رابعها: ورد هذا اللفظ مرفوعًا على الابتداء وخبره محذوف في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[المائدة: ٦٩] ونكتة ذلك ذكرها الإمام الزمخشري فقال: " "وَالصَّابِئُونَ" رفع على الابتداء وخبره محذوف، والنية به التأخير عما في حيز إن من اسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابئون كذلك ... فإن قلت: فقوله: "والصَّابِئُونَ" معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو؟ قلت: هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا" ... ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها، فإن قلت: ما التقديم والتأخير إلا لفائدة، فما فائدة هذا التقديم؟ قلت: فائدته التنبيه على أن الصابئين يُتاب عليهم، إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح، فما الظن بغيرهم؟! وذلك أن الصابئين أبْيَن هؤلاء المعدودين ضلالًا وأشدّهم غيًّا، وما سموا صابئين إلا لأنهم صبأوا عن الأديان كلها، أي: خرجوا"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب (٥٣٧/٣).

(٢) ينظر: الكشاف (٦٦٠/١).

المثال الثاني: الحروف المقطعة في أوائل السور:

يرى المستشرقون أن الحروف المقطعة محل خلاف كبير بين المفسرين، وقد تعددت آراء هؤلاء المستشرقين أيضًا في تحديد المراد منها؛ حيث سرد الدكتور مصطفى شاه عددًا من تلك الآراء فبين أن بيلامي صاغ نظرية حول أصل الحروف المقطعة أو فواتح السور، عرض فيها تصوره لهذه الحروف الغامضة التي ترد بأشكال مختلفة وبحروف متنوعة في مطلع تسع وعشرين سورة من القرآن، وذهب إلى أنها في الأساس صيغ مختصرة للبسملة. ورأى أن هذه الفواتح هي أكثر الجوانب إشكالًا في الدراسات القرآنية، وأن البسملة لم تكن فيما مضى جزءًا لا يتجزأ من القرآن في السور المكية المبكرة، لكن الكتبة المتأخرين استفتحوا بها آيات الوحي. وما إن أصبحت السور القرآنية أطول، حتى زاد استخدام البسملة، واتجه الكتبة إلى اتباع تقليد متعارف عليه في استخدام الصيغ المختصرة. ومضى ليزعم أن النساخ في الحقبة التي تلت جمع المصحف العثماني نسوا أن هذه الحروف ليست سوى اختصار للبسملة.

وأشار الدكتور مصطفى شاه إلى أن بيلامي صاغ نظريته في بداية السبعينيات، وتجلت في دراسات لاحقة وضعت في التسعينيات، وقد واصل التأكيد فيها على "قناعته الشديدة بأن الفواتح هي اختصارات قديمة للبسملة تعرضت للتصحيف والتحريف على يد النساخ".

ثم استعرض الدكتور مصطفى شاه فكرة البحث عن رابط تحريري لأصل الحروف المقطعة؛ فذكر أن نولدكه في مبدأ الأمر قد تبنى وجهة نظر ترى أن هذه الحروف أو الرسم اللفظي إشارة إلى أصحاب المصاحف التي استخدمها زيد بن ثابت (ت ٤٢هـ أو ٥٧هـ/٦٢٢م أو ٦٧٦م) كاتب النبي عند جمعه القرآن، لكن هذه الفواتح بقيت في النسخة الأخيرة نتيجة الإهمال.

وذكر أيضًا إشارة شفالي إلى ادعاء أوتّو لوث وجود ارتباط بين هذه الحروف

وبين العبارات القرآنية التي تلتها مباشرة، الأمر الذي جعله مقتنعًا بأنها كانت موجودة في القرآن منذ البداية. لكن بحسب تقدير لوث فإن الآثار اليهودية التي تجسدت في شكل رموز صوفية يهودية (القبّالاه)[1] يمكن اكتناهها في بنية هذه الفواتح.

وأوضح تراجع نولدكه عن نظريته الأولى تحت وطأة النقد الشديد الذي صوبه إليه لوث، وإقراره مثل لوث بأن الغرض منها أن تكون جزءًا أصيلًا من النص الأصلي، ولكنه في الوقت نفسه قرر أن هذه الحروف إشارة غامضة إلى نص أصلي موجود في السماء. لكن جاء بعد ذلك إداورد جوسنز فتبنى قولًا في هذه الحروف يرى أنها اختصار لأسماء مهجورة للسور القرآنية، فعلى حد قوله كانت هناك عدة أسماء للسور القرآنية في الأصل[2].

وبعد سرد أقوال بعض المستشرقين أرى أنها أوهام اعتقد أصحابها أنها نظريات، لكن اعتقادهم هذا ليس صحيحًا البتة للأسباب الآتية:

أولًا: أن الحروف المقطعة وردت في تسع وعشرين سورة، وجملتها من غير تكرار أربعة عشر حرفًا يجمعها: نص حكيم قاطع له سر.

قال الإمام الزركشي: " وقد اختلف الناس في الحروف المقطعة أوائل السور على

---

(١) في الحاشية: "القبّالاه: هي التراث الصوفي اليهودي كما ذكر عبد الوهاب المسيري، وقد مرت بمراحل عديدة أهمها: الزوهار وتسمى القبّالاه النبوية، والقبالاه اللوريانية التي يمكن أن تسمى القبّالاه المشيحانية. ومعناها الاصطلاحي: نزعة تفسيرية وحركة روحية ذات طابع حلولي، تقوم على تأويل باطني رمزي لنص الكتاب المقدس، وتركز على ما للأحرف من قيمة عددية. ينظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج٥، ص ١٦٣؛ صلاح قنصوة وآخرون، قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، القاهرة: مكتبة دار الكلمة، ٢٠٠٤م، ص ٣٩٣ (المترجم)".

(٢) ينظر: الترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية (٥٩٨/١، ٥٩٩).

قولين :

أحدهما: أن هذا علم مستور وسر محجوب استأثر الله به، ولهذا قال الصديق رضي الله عنه: في كل كتاب سر، وسره في القرآن أوائل السور. قال الشعبي: إنها من المتشابه نؤمن بظاهرها، ونكل العلم فيها إلى الله عز وجل .

القول الثاني: أن المراد منها معلوم، وذكروا فيه ما يزيد على عشرين وجهًا، فمنها البعيد ومنها القريب"(١).

وقد انتصر الحافظ ابن كثير لأحد هذه الوجوه؛ فقال ما ملخصه: "وقال آخرون: بل إنما ذكرت هذه الحروف، في أوائل السور التي ذكرت فيها؛ بيانًا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين، وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا، وقرره الزمخشري في كشافه، ونصره أتم نصر.

ولهذا: كل سورة افتتحت بالحروف، فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن، وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة، ولهذا يقول تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِ ﴾ البقرة: ١ - ٢ ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾ آل عمران: ١ – ٣ ، ﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ ﴾ الأعراف: ١ – ٢ (٢).

وهذا ما أوضحه شيخنا الأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة – رحمه الله– حين قرر أنّ جَعْلَ الحروف المقطعة في أوائل السور متشابهًا ركوبُ ما لا برهان عليه بالمرة، بل

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، النوع السابع: في أسرار الفواتح والسور (١/١٧٣).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١/٧١).

ما قام البرهان على خلافه، مدعومًا بالبرهان النير أن هذه الحروف لا أثر فيها للتشابه بحال.

ثم أورد شيخنا الراحل في نهاية أطروحته العلمية عن المحكم والمتشابه في القرآن الكريم أن جميع الألفاظ التي يتهجى بها، والتي لا ريب لدى الكافة في كون هذه المقطعات أوائل السور من بينها أسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم، بحيث إذا أطلق أي هذه الألفاظ دون قرينة صارفة له عن مدلوله الأصلي لم يفهم منه ذو نسبة إلى هذا اللسان البتة غير ذلك المدلول، وتظهر المناسبة بين هذه الحروف وما بعدها كونها عنصر الكلام وبسائطه التي يتركب منها؛ فافتتح الله تسعًا وعشرين سورة من سور القرآن بطائفة من أسماء الحروف تسجيلًا لعجزهم وإظهارًا لتعنتهم في عدم إيمانهم، فإنه يقول لهم بلسان هذه الحروف: إن هذا القرآن الذي عجزتم عن الإتيان بما يدانيه فضلا عما يساويه، لم يأتكم بلغة غير لغتكم، ولا بما لا تستطيعون النطق به، وإنما أتاكم بنظم عربي اللحمة والسدى، لا تتألف كلماته إلا من نفس حروفكم العربية التي تنطقون بها ليل نهار، بل التي لا تنطقون إلا بها، فعجزكم عن الإتيان بمثله — وأنتم أساطين البيان وفرسان حلبة الكلام– ليس إلا لكونه صادرًا عن قوة تستطيع وحدها أن تشكل من هذه المادة التي تشكلون منها صور كلامكم صورة لا تمثل جميع صوركم، وصور الثقلين إلى جنب حسنها وروعتها إلا بما يمثله الثرى إلى جنب الثريا، وما تلك إلا قوة الله القاهرة لجميع القوى، وما هذه الصورة إلا الذكر الحكيم .

والذي يؤكد أن الغرض من الفواتح هو التحدي بالقرآن أن كل سورة ابتدأت بفاتحة من هذه الفواتح، احتوت على كثير من ألوان الانتصارات للقرآن ولنبي القرآن صلى الله عليه وسلم، وأثبتت بأكثر من وجه من وجوه الإعجاز كون القرآن من عند

الله، وكون نبيه صادقًا في دعواه، فأغلب هذه السور يعقب الفاتحة فيها ذكر الكتاب أو القرآن موصوفًا بأوصافه السامية الشاهدة بكونه من عند الله(١).

ثانيًا: لا أدري سر قناعة بيلامي الشديدة بداية بأن الفواتح هي اختصارات قديمة للبسملة تعرضت للتصحيف والتحريف على يد النساخ، هل اطلع على نسخة واحدة كتبت فيها البسملة ولم تكتب فيها الحروف المقطعة، ثم اطلع على نسخة أخرى محيت منها البسملة وأثبت مكانها الحروف المقطعة؟! ثم لماذا لم توضع الحروف المقطعة في بدايات السور كلها اختصارًا للبسملة ووضعت في تسع وعشرين سورة فقط؟! ثم لماذا اختلفت اختصارات البسملة في بدايات السور التسع والعشرين؟! لماذا كانت حرفًا واحدًا في بعض السور، وحرفين في بعض آخر، وثلاثة أحرف تارة، وأربعة أحرف تارة أخرى، وخمسة أحرف أحيانًا؟!

إنني علي يقين أنه لن يستطيع الإجابة على سؤال واحد من تلك الأسئلة؛ لأن واقع القرآن الكريم دالٌّ على ثبوت البسملة في كل السور عدا سورة التوبة، لا ثبوت البسملة في تسع وعشرين سورة فقط، ولأن نساخ القرآن الكريم لا يستطيعون أن يزيدوا أو ينقصوا شيئًا؛ لأن الأمة اعتمدت على التلقي الشفهي المتسلسل في تعلم القرآن الكريم، وما الكتابة في السطور إلا تأكيد لما استقر في الصدور.

وإنني أظن أن بيلامي اطلع على قول حكاه شيخ المفسرين الطبري، فصاغه على وفق هواه ليطعن في ثبوت القرآن الكريم؛ فقد أورد شيخ المفسرين قولًا بصيغة التضعيف مفاده أن الله افتتح بها ليُعْلم أن السورة التي قبلها قد انقضت، وأنه قد أخذ في سورة أخرى(٢).

---

(١) ينظر: المحكم والمتشابه صـ ٨٤٢ وما بعدها بتصرف واختصار.

(٢) ينظر: جامع البيان (١/٢١٠).

وقد بين الحافظ ابن كثير ضعف هذا القول؛ لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه بالبسملة تلاوة وكتابة[1].

ثالثًا: إذا كان نولدكه في مبدأ الأمر قد تبنى وجهة نظر ترى أن هذه الحروف أو الرسم اللفظي إشارة إلى أصحاب المصاحف التي استخدمها زيد بن ثابت كاتب النبي عند جمعه القرآن، لكن هذه الفواتح بقيت في النسخة الأخيرة نتيجة الإهمال، فلا شك أنها وجهة نظر باطلة، وهي أقرب إلى خيال متبنيها؛ إذ لا يوجد دليل صحيح أو ضعيف على وجهة نظره تلك، ناهيك عن الطعن الخفي في عباراته التي توهم نقل زيد بن ثابت عن أصحاب المصاحف فقط، واعترافه بجميل هؤلاء لدرجة أنه أشار إليهم في صدر بعض السور – متغافلًا الطريقة التي سلكها زيد بن ثابت في جمع القرآن وهي مطابقة المحفوظ في الصدور بالمنقوش في السطور– ثم ينسب جمع القرآن إلى زيد وحده – متجاهلًا الصحب الكرام الذين كلفوا معه بأداء تلك المهمة العظيمة– ثم يخبر عن زيد بأنه كاتب النبي — متناسيًا كون زيد كاتبًا من كتاب الوحي الذين زادوا عن العشرين– ثم يتهمه في نهاية الأمر بالإهمال!!!

ولذلك تراجع نولدكه عن خيالاته تحت وطأة النقد الشديد الذي صوبه إليه لوث، وأقر مثل لوث بأن الغرض منها أن تكون جزءًا أصيلًا من النص الأصلي، ولكنه في الوقت نفسه قرر أن هذه الحروف إشارة غامضة إلى نص أصلي موجود في السماء.

وهنا يجب أن نتساءل عن النص الأصلي الذي يرد في كلام المستشرقين دائمًا، هل يقصدون أن النص الذي بين أيدينا اليوم ليس أصليًّا؟ هل يعتقدون أن النص

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١/٧٠).

الأصلي موجود في السماء؟ هل يرون أن ما بين الدفتين طالته يد التحريف والتبديل أثناء الجمع العثماني للقرآن؟

نعم إنهم يعتقدون ذلك بدليل توافقهم جميعًا على هذا القول، وكأنهم تواصوا فيما بينهم بذلك، وإن كانوا في الحقيقة لم يتواصوا؛ لأنهم لم يجتمعوا في زمان واحد، بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان، كما قال ربنا عن أسلافهم الذين توافقوا على رمي رسل الله بالسحر والجنون: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٥٣﴾

وقد أجاب شيخنا الأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة – رحمه الله– عن ذات الفرية التي رددها جولد زيهر في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي)؛ فقال: " وردنا على هذه المغالطة ببساطة هو التحاكم إلى الواقع المتمثل في أمرين:

أولهما: إعجاز نص القرآن القائم الآن بالفعل؛ فإن هذا الإعجاز لهو أصدق وأهم دليل على الحقية والتنزيل من عند الله؛ إذ لو كان هذا النص من صنيع أحد غير الله لاستحال أن يكون معجزًا، كيف لا والمعجزة مما لا مدخل لمخلوق في صنعه على الإطلاق باتفاق جميع العقلاء، ولذلك فحسب نزلت منزلة قول صانعها: (صدق عبدي في كل ما يبلغ عني).

ثانيهما: شهادة التاريخ الثبت بكمال العدالة وتحري الصدق والأمانة في جميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، الذين هم أُولى حلقات السلسلة المباركة المتصلة من نقلة القرآن وشريعته إلى الأمة، وحسن بلائهم في أداء ونصرة هذه الشريعة إلى حدٍّ لم تعرف الدنيا له مثيلًا، ولا ريب أن صاحبنا يعرف ذلك حق المعرفة، وأن

الشأن فيه وفي جميع أمثاله ما قاله الله في قرآنه الحكيـــم: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤]"(١).

رابعًا: تقدير لوث أن الآثار اليهودية التي تجسدت في شكل رموز صوفية يهودية يمكن اكتناهها في بنية هذه الفواتح تقدير مرفوض تمامًا؛ لأن هذه الحروف المقطعة من الأبجدية العربية بلا نزاع، فكيف تكون من الرموز الصوفية اليهودية؟!!

ولا ريب أن بعض علمائنا ذكروا أنها حروف مقطعة من أسماء وأفعال، وقيل: هي أسماء للسور، وقيل: هي من حساب الجمّل- وهذا القول الأخير كره الإمام الطبري ذكْر الذي حُكي ذلك عنه لأن الذي رواه ممن لا يُعتمد على روايته ونقله- وقيل غير ذلك. حكى شيخ المفسرين هذه الأقوال ونسبها لقائليها ثم قال: ولكل قول من الأقوال التي قالها الذين وصفنا قولهم في ذلك وجهٌ معروفٌ(٢).

ومما هو جدير بالذكر أن أي منصف يرى أنها رموز للأبجدية العربية، وقد أشار الدكتور مصطفى شاه إلى أحد هؤلاء فقال: " ... وقد استعرض ألفورد ويلش الدراسات العلمية التي تناولت هذه الحروف الغامضة، وخلص إلى أنها جسدت إشارات رمزية للأبجدية العربية، وهو رأي أورده الزمخشري (ت ٥٣٨هـ/١١٤٤م) في الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"(٣).

نعم هي إشارات رمزية للأبجدية العربية؛ فالألف هي الألف في الأبجدية العربية، واللام هي اللام، والميم هي الميم، والطاء هي الطاء، والسين هي السين، وهكذا ... وليست حروفًا غامضة كما يدعي البعض، بل هي كما قال الإمام الزمخشري: " اعلم

---

(١) ينظر: دراسات في مناهج المفسرين صـ ٩٠، ٩١.

(٢) ينظر: جامع البيان (١/٢٠٥: ٢٢٤).

(٣) ينظر: الترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية (١/٦٠٠).

أنّ الألفاظ التي يتهجى بها أسماء، مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم، فقولك- ضاد- اسم سمى به "ضه" من ضرب إذا تهجيته، وكذلك: "را، با": اسمان لقولك: "ره، به"، وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة، وهي أن المسميات لما كانت ألفاظا كأساميها وهي حروف وحدان، والأسامي عدد حروفها مرتق إلى الثلاثة، اتجه لهم طريق إلى أن يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها، وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى، إلا الألف فإنهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لأنه لا يكون إلا ساكنًا"(١).

المثال الثالث: كلمة الكلالة في سورة النساء:

وردت كلمة الكلالة في سورة النساء مرتين، مرة في الآية الثانية عشرة من السورة الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾، ومرة في الآية الأخيرة في قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ﴾.

وقد توالت الأوهام حول تلك المفردة القرآنية؛ فقد زعم ديفيد باورز أنه رغم انتهاء المفسرين القدامى إلى أن المراد بهذه الكلمة نصيب الحواشي من الإرث؛ فإن معناها في الأصل "كنة"، لكن طمس هذا المعنى بحيلة ومكر لأسباب سياسية. ورأى باورز أن الآية أعطت الرجل في بادئ الأمر الحق في تعيين وارث. وفي إشارة إلى أن المعنى الأصلي كان معلومًا لعدد من الصحابة، استشهد باورز بدليل استند فيه إلى بعض الآراء المؤقتة عن الارتباط الاشتقاقي الخاص بين كلمة "كلالة" في العربية وبين لفظة قريبة في اللغة الآكادية هي "كلّه" بمعنى بنت بالتبني. وفي عدد من الدراسات

(١) ينظر: الكشاف (١/١٩).

اللاحقة استشهد باورز بما ظن أنه يعضد قوله، فذهب إلى أن واحدًا من المخطوطات القرآنية المبكرة المحفوظة في المكتبة الوطنية الفرنسية برقم (328a) اشتمل على أوراق يتضح عند التحليل الدقيق لها وجود تعديل في قراءة "كلة" إلى "كلالة"، وكتب القراءات القديمة بما فيها القراءات الشاذة لا تشتمل على هذه القراءة. ويعتمد باورز في رأيه هذا على أن كلمة "كلالة" التي حلت محل "كلة" منحولة لم تكن شائعة في زمان النبي، وأن الهدف المنشود من وراء هذه العملية هو التأكيد على أن الرسالة المحمدية هي الرسالة الخاتمة من خلال إبطال الأهمية الرمزية لابن النبي بالتبني (زيد). أما أغوستينو سيلاردو فقد نحى منحى مختلفًا في معالجته لهذه الكلمة، فرأى أن التحولات الدلالية المعقدة في تفسيرها ترجع إلى استراتيجيات فقهية مبتكرة اتبعها الفقهاء لتعزيز مجال التشريع القرآني(١).

هذه أوهام متعددة حول تلك المفردة القرآنية، تتنوع بين ادعاء تحريف في الكتابة وبين ادعاء تغيير في الدلالة، وللرد على تلك الأوهام أقول:

أولًا: لا يراد بهذه الكلمة نصيب الحواشي من الإرث كما زعم باورز، بل أريد بها الذين يرثون الميت من عَدا ولده ووالده، وذلك لصحة الخبر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني، وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ وصب علي من وضوئه، فعقلت، فقلت: يا رسول الله لمن الميراث؟ إنما يرثني كلالة، فنزلت آية الفرائض(٢).

---

(١) ينظر: الترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية (١/٦٠١، ٦٠٢).

(٢) أخرجه الإمام البخاري، كتاب الوضوء: باب صب النبي صلى الله عليه وسلم وضوءه على المغمى عليه (١/٥٠) ح: ١٩٤. وأخرجه الإمام مسلم بنحوه، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة (٣/١٢٣٥)ح: ١٦١٦.

ثانيًا: هذا الخبر الصحيح – الذي ارتقى لأعلى درجات الصحة بوروده في الصحيحين– يدل دلالة واضحة على أصالة هذه الكلمة في لغة العرب، وشيوع استعمالها في زمن النبوة؛ لأن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما تكلم بها قبل نزول آية الفرائض.

ثالثًا: لا صحة لما يدعيه من كون معنى "كلالة" في الأصل "كنة" لكن طمس هذا المعنى بحيلة ومكر لأسباب سياسية؛ إذ أصل "كلالة": كلل، والكلالة مصدر من تكلله النسب، أي: تطرَّفه، كأنه أخذ طرفيه من جهة الولد والوالد، وليس له منهما أحد، فسمي بالمصدر. والكلالة من القرابة ما خلا الوالد والولد، سموا كلالة لاستدارتهم بنسب الميت الأقرب فالأقرب، من تكلله النسب إذا استدار به، وقيل: الكلالة من سقط عنه طرفاه، وهما أبوه وولده(١).

رابعًا: لا نسلم الارتباط الاشتقاقي بين كلمة "كلالة" في العربية وبين لفظة قريبة في اللغة الآكادية هي "كلّه" بمعنى بنت بالتبني؛ حيث تبين قبل ذلك أن مفردات القرآن الكريم عربية أصيلة، لا يوجد ارتباط بينها وبين شبيهاتها في أي لغة أخرى.

خامسًا: لا نسلم ما يدعيه من وجود تعديل في إحدى المخطوطات القرآنية؛ لأنها دعوى بلا دليل مادي، ولو سلمنا ذلك فما المانع أن يكون الناسخ قد عدل كتابته بسبب خطأ طرأ سهوًا، حيث يتشابه رسم هذه الكلمة بالرسم العثماني هكذا ﴿كَلَٰلَةً﴾ مع رسم "كلة"، وهذا لا يضير ثبوت القرآن الكريم؛ لأن الاعتماد في تواتر القرآن العظيم على النقل الشفهي المتواتر، ولأن باورز نفسه اعترف بأن كتب القراءات القديمة بما فيها القراءات الشاذة لا تشتمل على هذه القراءة.

---

(١) ينظر: لسان العرب (٥٩٢/١١) مادة : كلل.

سادسًا: ما يدعيه من هدف منشود وراء تبديل الكلمة، وهو التأكيد على أن الرسالة المحمدية هي الرسالة الخاتمة من خلال إبطال الأهمية الرمزية لابن النبي بالتبني (زيد)، هذا الادعاء محض خيال لا أساس له؛ حيث لا تبديل ولا تحريف ولا تغيير، ناهيك عن بطلان اعتقاده بوراثة النبوة، وزعمه أن إبطال الأهمية الرمزية لزيد هو الذي أكد أن الرسالة المحمدية هي الرسالة الخاتمة، وكأنه لو لم تبطل هذه الأهمية لورث زيد النبوة؟!!

سابعًا: ما نحاه أغوستينو سيلاردو من أن التحولات الدلالية المعقدة في تفسيرها ترجع إلى استراتيجيات فقهية مبتكرة اتبعها الفقهاء لتعزيز مجال التشريع القرآني كلام مرسل لا برهان عليه؛ لأن الكلالة في الموضعين من سورة النساء أريد بها الذين يرثون الميت من عَدا ولده ووالده كما تبين سابقًا، والفرق بين الموضعين في الأفراد الوارثين؛ ففي الموضع الأول أريد بهم الإخوة والأخوات لأم، حيث قرأها سيدنا سعد بن أبي وقاص: (وله أخ أو أخت من أمه) وهي قراءة تفسيرية، تعد من تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة، وفي الموضع الثاني أريد بهم الإخوة والأخوات الشقيقات أو الإخوة والأخوات لأب.

يقول الإمام القرطبي: " ذكر الله عز وجل في كتابه الكلالة في موضعين آخر السورة وهنا، ولم يذكر في الموضعين وارثا غير الإخوة، فأما هذه الآية فأجمع العلماء على أن الإخوة فيها عنى بها الإخوة للأم؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾ [النساء: ١٢] وكان سعد بن أبي وقاص يقرأ (وله أخ أو أخت من أمه). ولا خلاف بين أهل العلم أن الإخوة للأب والأم أو الأب ليس ميراثهم كهذا، فدل إجماعهم على أن الإخوة المذكورين في آخر السورة هم إخوة المتوفى لأبيه وأمه أو لأبيه؛ لقوله عز وجل: ﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ

حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ﴾ [النساء: ١٧٦]. ولم يختلفوا أن ميراث الإخوة للأم ليس هكذا، فدلت الآيتان أن الإخوة كلهم جميعًا كلالة"(١).

المثال الرابع: كلمة الفرقان في آي القرآن:

وردت كلمة الفرقان في آيات الذكر الحكيم للدلالة على الفرق بين الحق والباطل، وهي كلمة عربية بلا ريب، لكن المستشرقين يدّعون أنها كلمة أعجمية، ويخترعون لها المعاني التي تتناسب مع هذا الادعاء، وحول هذا الزعم يقول الدكتور مصطفى شاه: " ... ويركز فِرد دونر على الاستعمال القرآني لكلمة "فرقان" التي ترتبط بمفهوم "الخلاص" "والنجاة" "والتفريق"، ويسوق براهين حول نقل النص القرآني لتوضيح أصل الكلمة وتفسيرها من جانب المفسرين الأوائل. وفي تأكيد منه على تباين المدى الدلالي للكلمة في القرآن، زعم دونر أن لفظة "فرقان" جسدت جمعًا بين كلمتين منفصلتين في اللغة الآرامية/السريانية هما: "برقانا" ومعناها الخلاص، "وبقدانا"(معناها تكاليف أو وصايا)، وأن النساخ المتأخرين أخطؤوا في كتابتها عند نسخ المصحف. ورأى جفري أن "المفردات التي استخدمها المسيحيون الناطقون بالآرامية" يحتمل أن تكون المصدر الذي جاءت منه هذه اللفظة. وبقطع النظر عن مزاعم دونر في أن هذه المفردات لا بد أنها انبثقت من مصادر سريانية عند جمع القرآن، وأن المفسرين القدامى لم يكونوا على دراية بالفروق الدقيقة للكلمة، نجده يقرر صراحة أن اللبس الذي وقع للنساخ في معناها دليل على أن نص القرآن كتب بالضرورة في تاريخ مبكر. ويخلص من هذا كله إلى عدم وجود تقليد شفهي للنقل النصي يمنع وقوع مثل هذا اللبس حين سعى العلماء إلى "ضبط نص اعتُمد في نقله على صورة مكتوبة فحسب". ويزعم دونر أن الشروح التي أتى بها المفسرون القدامى

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧٨/٥).

في بيان معنى الكلمة ملفقة فيها تكلف ظاهر، وخاصة ما ذهبوا إليه من أن الكلمة تعني في عدد من المواضع القرآنية التفريق والفصل. أما أروي روبين فساق بعض الأقوال اللغوية النحوية ليفند عددًا من البراهين الأساسية التي اعتمد عليها دونر في دراسته. ورأى وجود شواهد كثيرة تؤكد أن المفسرين القدامى كانوا على دراية تامة بما لكلمة "فرقان" القرآنية من دلالة في التراجم الآرامية للكتاب المقدس، وأنها لم تكن مجرد كلمة دخيلة غير عربية، بل لها جذور في العربية القديمة. وتوصل روبين إلى أن التفاسير التي ساقها المفسرون القدامى متسقة تمامًا مع المعاني التي اكتسبتها الكلمة في محيطها العربي"(١).

إن هؤلاء المستشرقين يرددون تلك الأباطيل بإصرار عجيب؛ إذ يزعم دونر وروبين بعض المزاعم حول كلمة "فرقان"، وقد تبين من الصفحات السابقة أن مفردات القرآن الكريم عربية أصيلة، وأنه لا صحة لما يردده هؤلاء حول وجود كلمات أعجمية في القرآن، وتبين أيضًا بطلان القول باعتماد الأمة الإسلامية على النسخ المكتوبة في تلقي القرآن وجمعه؛ حيث اعتمدت هذه الأمة على التلقي الشفهي المتسلسل المتواتر لكتاب ربها، وبناء على ذلك بطل قول دونر بعدم وجود تقليد شفهي للنقل النصي يمنع وقوع مثل هذا اللبس، وبطل كذلك قوله عن سعي العلماء إلى ضبط نص اعتُمد في نقله على صورة مكتوبة فحسب، ويكفينا قول سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه: " فَقُمْتُ فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ "(٢)، وإن كان لدى عصبة المستشرقين دليل فليخرجوه لنا.

---

(١) ينظر: الترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية (١/٦٠٢، ٦٠٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن (٦/١٨٣) ح: ٤٩٨٦. والعسب: جمع العسيب وهو سعف النّخل، واللخاف: جمع لخفة وَهي حِجَارَة بيض رقاق. ينظر: غريب الحديث (٢/٩٤، ٣٢٠).

ويبقى أن أضيف هنا كلمات تراثية وأخرى معاصرة في معنى كلمة فرقان؛ حيث يقول الراغب في مفرداته: "والفرقان أبلغ من الفرق؛ لأنه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل ... والفرق يستعمل في ذلك وفي غيره، وقوله: ﴿ يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ ﴾ [الأنفال: ٤١] ، أي: اليوم الذي يفرق فيه بين الحق والباطل، والحجة والشبهة، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٩] أي: نورًا وتوفيقًا على قلوبكم يُفرق به بين الحق والباطل، فكان الفرقان هاهنا كالسكينة والروح في غيره، وقوله: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ ﴾ [الأنفال: ٤١] قيل: أريد به يوم بدر؛ فإنه أول يوم فُرق فيه بين الحق والباطل، والفرقان: كلام الله تعالى، لفرقه بين الحق والباطل في الاعتقاد، والصدق والكذب في المقال، والصالح والطالح في الأعمال، وذلك في القرآن والتوراة والإنجيل، قال: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾ [البقرة: ٥٣]، ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[الفرقان: ١]، ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾[البقرة: ١٨٥]"(١).

ويقول الدكتور عبد الرحمن بدوي في دفاعه عن القرآن ما ملخصه: " من الغباء نسبة كلمة "فرقان" إلى الكلمة العبرية (pirke) التي تعني فصول، وكذلك الآراء التي ترد كلمة "فرقان" إلى الكلمة السريانية بوركانا (purkana): الإنقاذ تعد هي الأخرى ضربًا من الغباء. يبقى أن نتبنى المعنى والاشتقاق الذي اتفق عليه مفسرو القرآن وعلماء فقه اللغة العرب والمسلمين، وقد لخص كازيميرسكي بعد اطلاعه على المعاجم العربية آراءهم كالآتي:

(فرقان): ١. مصدر الفعل: فرق.

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن صـ ٦٣٣، ٦٣٤ مادة: فرق.

٢. كل ما يدل على التفريق، الفرق بين الخير والشر، بين المشروع واللامشروع، ويوم الفرقان هو يوم التمييز، إنه يوم معركة بدر، أول انتصار لمحمد على الكفار.

٣. أي كتاب مقدس مثل الإنجيل وخاصة القرآن، واستنادًا على هذا نقترح التفسير الآتي: أن "فرقان" مصدر الفعل فرق، معناه التمييز بين الخير والشر، بين المشروع واللامشروع، وبالقياس نجد أن كلمة "فرقان" تدل على معيار التمييز بين الخير والشر، وأخيرًا الكتاب المقدس هذا المعيار ويعبر عنه.

لنطبق إذًا هذا التفسير على الآيات القرآنية الست سنجد الآتي:

أولًا: في الآيتين ٥٣ من سورة البقرة، ٤٨ من سورة الأنبياء تدل كلمة "فرقان" على: التمييز بين الخير والشر والحلال والحرام.

ثانيًا: أن المراد من كلمة الفرقان في الآية الرابعة من سورة آل عمران، والآية الأولى من سورة الفرقان هو: القرآن.

ثالثًا: والمقصود من الآيتين ١٨٥ من سورة الفرقان، ٤١ من سورة الأنفال: التمييز بين الخير والشر وبين الحق والباطل في الدين.

وبالتالي نرفض أن يعطى لهذه الكلمة تفسيرًا من نوع الإنقاذ (Salvation)، أو ما يعادلها باللغات الأخرى مثل (Rettung) بالألمانية"[1].

المثال الخامس: كلمة الكتاب في سورة النور:

وردت كلمة الكتاب في سورة النور في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ﴾[النور: ٣٣] وأريد بها مكاتبة العبد سيده رغبة الحصول على حريته من الرق، والمراد بمكاتبة العبد

(١) ينظر: دفاع عن القرآن ضد منتقديه صـ ٦٠، ٦١.

—كما يقول الرغب–: "ابتياع نفسه من سيده بما يؤديه من كسبه، واشتقاقها يصح أن يكون من الكتابة التي هي الإيجاب، وأن يكون من الكتب الذي هو النظم"(١).

لكن باتريشيا كرون أصرت على خطأ هذا التفسير؛ لأن لفظ "كتاب" في الآية يراد به عقد النكاح، وقالت: على فرض أن بعض المفسرين نسي المعنى الأصلي لكلمة كتاب في هذه الآية، فقد كان بمقدورهم الوصول إلى المعنى بكل سهولة من السياق، بيد أنهم لم يحاولوا قط، وإنما أصروا على ربط الكلمة بالعتق وتحرير العبيد، ويمكن أن يقول المرء: إن المفسرين القدامى اختاروا هذا المسلك في التفسير؛ لأن "نكاح" العبيد مذكور بالفعل وحث عليه القرآن في بداية الآيات القرآنية التي تأتي في هذا المقطع، لكن كرون ترى أن التفاسير المذكورة لهذه الآية تكشف عن ثغرات في معرفة المفسرين وعلمهم، وأن دراستها تأتي محاولة لبيان هذا الأمر(٢).

أقول: من الغريب أن تصر باحثة غربية على خطأ تفسير مفردة عربية، ثم تضع لهذه المفردة تفسيرًا ترى أن الأنسب لسياق المقطع القرآني، والأغرب أنها تناقض نفسها بصورة فجة؛ إذ ترى أن المفسرين لم يحاولوا قط الوصول إلى معنى الكلمة من السياق، ثم تفترض أن يجيبها أحد المدافعين عن المفسرين بأنهم اختاروا هذا المسلك في التفسير؛ لأن نكاح العبيد مذكور بالفعل وحث عليه القرآن في بداية الآيات القرآنية التي تأتي في هذا المقطع، وهو رد قويٌّ على اتهام المفسرين بعدم محاولة الوصول إلى المعنى من خلال السياق، ولكنها تصر إصرارًا عجيبًا بعد هذا الرد على وجود ثغرات في معرفة المفسرين وعلمهم!!

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن صـ ٧٠٢ مادة: كتب.

(٢) ينظر: الترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية (٦٠٣/١، ٦٠٤).

إن تفسير كلمة الكتاب هنا بالمكاتبة هو الموافق لسياق المقطع القرآني؛ فقد وردت كلمة الكتاب في القرآن الكريم بمعان متعددة، وفسرت في كل موضع وردت فيه بما يلائم السياق؛ حيث أريد بها القرآن الكريم في مواضع كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة:٢]، وأريد بها التوراة في مواضع كقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣]، وأريد بها جنس الكتاب الشامل لكل الكتب السماوية كما في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وأريد بها الفرض في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[النساء: ١٠٣]، وأريد بها الكتابة في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ١١٠]، ولم ترد بمعنى عقد النكاح كما زعمت كرون لكنها وردت بمعنى العدة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾[البقرة: ٢٣٥](١).

وإذا أردت أن تعقد المناسبة بين قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾ [النور: ٣٢] وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ﴾[النور:٣٣] فما أيسر أن تنظر في كتب المفسرين لترى الترقي من الأمر بتزويج الصالحين من العبيد والإماء إلى الأمر بمكاتبتهم حتى يصيروا أحرارًا ويتخلصوا من ذل العبودية مقابل ما يدفعونه إلى أسيادهم، وما أجزل عبارة العلامة أبي السعود في بيان تلك المناسبة؛ حيث يقول:" ﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ بعد ما أمرَ بإنكاحِ صَالحي المماليك الأحقَّاءِ

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن صـ ٦٩٩ وما بعدها.

بالإنكاح أمرَ بكتابة من يستحقها منهم، والكتابُ مصدر كاتبَ كالمكاتبة، أي: الذين يطلبون المكاتبة ﴿مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ عبدًا كان أو أمةً، وهي: أنْ يقولَ المولى لمملوكه كاتبتُك على كذا درهما تؤدِّيه إليَّ وتعتق، ويقول المملوكُ قبلتُه أو نحوُ ذلك"[1].

وبذلك نرى جمال النظم القرآني وبراعة أسلوبه في بيان الأحكام الشرعية، وفي الوقت نفسه تظهر ضحالة أفكار السيدة باتريشيا كرون، وفداحة اتهامها للسادة المفسرين بنسيان المعنى الأصلي لكلمة الكتاب في الآية، وعدم محاولتهم الوصول إلى المعنى من خلال السياق!!

المثال السادس: كلمة الصمد في سورة الإخلاص:

أرادت السيدة باتريشيا كرون أن تكشف لقارئيها الثغرات التي تراها في معرفة المفسرين وعلمهم، فأقرت بأن محاولة روزنتال توضيح هذه الثغرات التفسيرية في معرفة المفسرين القدامى تنجح بعض الشيء في بيان إخفاقهم في الوصول إلى معنى مفردات مثل "الصمد" و "الرجيم"، إلا أنها لا توضح بشكل تام السبب في مجيء التفسيرات في بعض الحالات حافلة بالتناقضات. وقد استحضرت في تفسيرها الإطار التاريخي لتوحيد النص القرآني مع الإشارة إلى عمل جون بورتون وجون وانسبرو[2].

أقول: والحق الذي لا مرية فيه أن السيدة باتريشيا كرون تجهل جماليات الاتساع في معاني مفردات اللغة العربية، ولذلك ترى اختلاف المفسرين إخفاقًا في الوصول إلى المعنى المراد.

---

(١) إرشاد العقل السليم (١٧٢/٦).

(٢) ينظر: الترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية (٦٠٤/١)

وردت كلمة الصمد في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[الإخلاص: ٢]، وقد ذكر الراغب أن الصَّمَدُ: السَّيِّدُ: الذي يُصْمَدُ إليه في الأمر، وصَمَدَهُ: قصد معتمدا عليه قصده، وقيل: الصَّمَدُ الذي ليس بأجوف، والذي ليس بأجوف شيئان: أحدهما لكونه أدونَ من الإنسان كالجمادات، والثاني أعلى منه، وهو الباري والملائكة، والقصد بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ تنبيهًا أنه بخلاف من أثبتوا له الإلهيّة، وإلى نحو هذا أشار بقوله: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾ [المائدة: ٧٥][(١)].

ولكن المعنى الثاني يتعارض مع نفي الجسمية عنه سبحانه وتعالى من جهة، ويتنافى مع سياق السورة الكريمة من جهة أخرى، ولذلك رفضه القاضي ابن عطية لكونه يتعارض مع الصفات الإلهية؛ فقال: ".... وقال كثير من المفسرين: الصَّمَدُ الذي لا جوف له .... وقال الشعبي: هو الذي لا يأكل ولا يشرب، وفي هذا التفسير كله نظر؛ لأن الجسم في غاية البعد عن صفات الله تعالى"[(٢)]. ورده الإمام الرازي لكونه يتنافى مع السياق؛ فقال ما ملخصه: "والقول الثاني: أن الصمد هو الذي لا جوف له ... وقال بعض المتأخرين من أهل اللغة: الصمد هو الأملس من الحجر الذي لا يقبل الغبار، ولا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء، واعلم أنه قد استدل قوم من جهال المشبهة بهذه الآية في أنه تعالى جسم، وهذا باطل؛ لأنا بينا أن كونه أحدًا ينافي جسمًا، فمقدمة هذا الآية دالة على أنه لا يمكن أن يكون المراد من الصمد هذا المعنى"[(٣)].

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن صـ ٤٩٣ مادة: صمد. وقال المحقق معقبًا: وموضع الإشارة أنّ في هذه الآية كناية= =لأنّ من يأكل الطعام لا بدّ له من قضاء الحاجة، ومن كان كذلك لا يكون إلهًا اهـ.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٥/٥٣٦) .

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٣٢/٣٦٢) .

ثم ذكر الإمام الرازي أقوالًا أخرى في معنى هذه المفردة لا تعارض بينها البتة؛ إذ هي معان تتناسب مع الكمال الإلهي، وهي مما يعد من اختلاف التنوع، ومما يدخل تحت اتساع معنى المفردة القرآنية، ومن ثم قال الشيخ الطاهر بن عاشور: " ... فالصمد من الأسماء التسعة والتسعين في حديث أبي هريرة عند الترمذي[1]. ومعناه: المفتقر إليه كل ما عداه، فالمعدوم مفتقر وجوده إليه، والموجود مفتقر في شؤونه إليه. وقد كثرت عبارات المفسرين من السلف في معنى الصمد، وكلها مندرجة تحت هذا المعنى الجامع، وقد أنهاها فخر الدين إلى ثمانية عشر قولًا. ويشمل هذا الاسم صفات الله المعنوية الإضافية وهي كونه تعالى حيًّا، عالما، مريدًا، قادرًا، متكلمًا، سميعًا، بصيرًا؛ لأنه لو انتفى عنه أحد هذه الصفات لم يكن مصمودًا إليه"[2].

وإذا انتقلنا إلى المفردة القرآنية "الرجيم" التي وردت في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]، وفي قوله تعالى: "﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، ووردت نكرة في الحجر وص والتكوير، إذا انتقلنا إليها وجدنا الاختلاف في معناها لا يخرج عن اختلاف التنوع الدال على اتساع معنى المفردة القرآنية.

إن الشيطان رجيم، على وزن فعيل بمعنى مفعول، فهو مرجوم أي مطرود من رحمة الله، وعلى وزن فعيل بمعنى فاعل فهو راجم لأنه يرجم الناس بالوساوس.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في أبواب الدعوات (٥/٥٣٠) ح: ٣٥٠٧ وقال: هذا حديث غريب حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث اهـ.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/٦١٧) .

قال الراغب: "والشّيطان الرجيم: المطرود عن الخيرات، وعن منازل الملإ الأعلى. قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]، وقال تعالى: ﴿ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴾ [الحجر: ٣٤] ، وقال في الشّهب: ﴿ رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الملك: ٥](١).

وقال ابن منظور: "والرجم: اللعن، ومنه الشيطان الرجيم، أي: المرجوم بالكواكب، صرف إلى فعيل من مفعول، وقيل: رجيم ملعون مرجوم باللعنة مبعد مطرود، وهو قول أهل التفسير، ويكون الرجيم بمعنى المشتوم المسبوب، من قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ﴾[مريم: ٤٦] أي: لأَسُبَّنك"(٢).

وبناء على ما سبق يظهر جهل السيدة باتريشيا كرون المركب؛ حيث حكمت على أقوال السادة المفسرين بأنها حافلة بالتناقضات، وقد تبين لكل منصف أن لا تناقض على الإطلاق.

المثال السابع: كلمة قرآن في آيات الذكر الحكيم:

يقول الدكتور مصطفى شاه: " ونجد منهجًا مماثلًا للتسلسل الزمني الداخلي في تحليل ويليام جراهام للفظة "قرآن" في ضوء أصلها السرياني. وقد رأى جراهام وجود مواضع قرآنية دلت فيها الكلمة في الأصل على عملية القراءة الفعلية، بيد أنها فسرت في وقت لاحق لتشير إلى الكتاب المقدس بصورة مركبة"(٣).

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن صـ ٣٤٦ مادة: رجم.

(٢) ينظر: لسان العرب (١٢/٢٢٧) مادة: رجم.

(٣) الترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية (١/٦٠٥).

يظهر أن جراهام يتصور تسلسلًا زمنيًّا داخليًّا للفظة "قرآن"، فقد كانت كلمة سريانية أولًا، ثم نقلت إلى اللغة العربية للدلالة على معنى القراءة الفعلية ثانيًا، ثم نقلت في وقت لاحق لتكون علمًا على الكتاب المقدس لدى المسلمين ثالثًا.

أما ما زعمه من كون لفظة "قرآن" سريانية؛ فقد تبين في بداية هذا البحث أن كل المفردات القرآنية عربية بلا استثناء، وإن رمت مزيد بيان فارجع إلى الجذر اللغوي لتلك المفردة القرآنية؛ حيث يظهر لك أن جذرها اللغوي مادة: قرأ، وهو جذر لغوي عربي مبين، ويظهر لك أن وزن المصدر من الأوزان المتجذرة في اللغة العربية، وهو وزن فُعلان، وهو وزن كثير من المصادر كغفران وشكران وتكلان وطغيان وفرقان وغيرها.

وأما قوله بأن كلمة قرآن وردت في بعض المواضع القرآنية للدلالة على عملية القراءة الفعلية، بيد أنها فسرت في وقت لاحق لتشير إلى الكتاب المقدس بصورة مركبة، فقد غاب عنه أن الكلمة مصدر للفعل قرأ بمعنى تلا، ثم نقلت من هذا المعنى المصدري، وجعلت اسمًا لكلام الله تعالى، من باب إطلاق المصدر على مفعوله.

يقول الراغب ما ملخصه: "والقِراءَة: ضمّ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في التّرتيل، وليس يقال ذلك لكلّ جمع ... والْقُرْآنُ في الأصل مصدر، نحو: كُفْران ورُجْحان. قال تعالى:

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٧، ١٨] قال ابن عباس: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به، وقد خصّ بالكتاب المنزّل على محمد صلّى الله عليه وسلم، فصار له كالعَلَم، كما أنّ التّوراة لما أنزل على موسى، والإنجيل على عيسى صلّى الله عليهما وسلم. قال بعض العلماء: تسمية هذا الكتاب قُرْآنًا من بين كتب الله لكونه جامعا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار

تعالى إليه بقوله: ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[يوسف: ١١١] ، وقوله: ﴿ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[النحل: ٨٩]"(١).

ويقول الإمام القرطبي: "القرآن: اسم لكلام الله تعالى، وهو بمعنى المقروء، كالمشروب يسمى شرابًا، والمكتوب يسمى كتابًا، وعلى هذا قيل: هو مصدر قرأ يقرأ قراءةً وقرآنًا بمعنى.

قال الشاعر:

ضحوا بأشمطَ عِنوان السّجود به ... يقطّع الليل تسبيحا وقرآنا(٢)

أي قراءة. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان عليه السلام يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآنًا(٣)، أي قراءة. وفي التنزيل: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨] أي: قراءة الفجر. ويسمى المقروء قرآنًا على عادة العرب في تسميتها المفعول باسم المصدر، كتسميتهم للمعلوم علمًا وللمضروب ضربًا وللمشروب شربًا، كما ذكرنا، ثم اشتهر الاستعمال في هذا واقترن به العرف الشرعي، فصار القرآن اسمًا لكلام الله، حتى إذا

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن صـ ٦٦٨، ٦٦٩ مادة: قرأ.

(٢) البيت لسيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه في رثاء سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو في ديوانه صـ ٢٤٨ . والشمط: بياض شعر الرأس يخالط سواده اهـ لسان العرب (٣٣٦/٧) مادة: شمط .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه (١٢/١) وهو موقوف على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وكان قد روى عن أهل الكتاب كما ذكر الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (٨١/٣)، وقال أبو العباس القرطبي: هذا ونحوه لا يتوصل إليه بالرأي والاجتهاد، بل بالسمع، والظاهر أن الصحابة إنما تستند في ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، مع أنه يحتمل أن يحدث به عن بعض أهل الكتاب اهـ المفهم (١٢٠/١) .

قيل: القرآن غير مخلوق، يراد به المقروء لا القراءة لذلك. وقد يسمى المصحف الذي يكتب فيه كلام الله قرآنا توسعا، وقد قال صلى الله عليه وسلم: " لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو"[1] أراد به المصحف"[2].

ولا غرابة في أقوال ويليام جراهام ومن على شاكلته؛ فهم جاهلون باللغة العربية ومشتقاتها ودلالاتها، ومن جهل شيئًا عاداه، لكن العجيب حقًّا أن نجد من بين الكاتبين في علوم القرآن من يدور في فلكهم ويردد أقوالهم دون تمحيص[3].

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمر (٩٩/٨) ح: ٤٥٠٧. بلفظ: " لا تسافروا بالقرآن، فإني أخاف أن يناله العدو ". وأخرجه الإمام مسلم بلفظ: "أنه كان ينهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، مخافة أن يناله العدو" اهـ كتاب الإمارة، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم (١٤٩١/٣) ح: ١٨٦٩/٩٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٨/٢) .

(٣) يقول الدكتور صبحي الصالح: "ومع أن كلتا التسميتين – القرآن والكتاب– ترتد إلى أصل آرامي، إذ وردت الكتابة في الآرامية بمعنى رسم الحروف، وجاءت القراءة فيها بمعنى التلاوة" اهـ مباحث في علوم القرآن صـ ١٧.

الخاتمة

وبعد؛ فهذا آخر ما تفضل الله به علي، ووفقني لكتابته في هذه الورقات، فله الحمد والفضل، أهل الثناء والمجد، فلولاه ما كنت ولا كان هذا البحث، ولم يبق لي إلا أن أذكر بعض النتائج والمقترحات فأقول – وبالله التوفيق –

أهم النتائج التي توصلت إليها:

قد توصلت من خلال معايشتي لمسائل هذا البحث إلى النتائج التالية:

أولًا: كتب بعض المستشرقين بحوثًا سطحية مليئة بالثغرات نتيجة عدم معرفتهم بالمنجزات الأكاديمية حول القرآن الكريم وعلومه.

ثانيًا: لا توجد ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم على الراجح من أقوال أهل العلم؛ بناء على ما استدلوا به من أدلة ناصعة تنقض ما اعتمد عليه آخرون.

ثالثًا: دعوى اقتباس القرآن الكريم من المصادر الكتابية والأدبية مرفوضة شكلًا ومضمونًا؛ فقد نزل القرآن الكريم على قلب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم معلمًا لأهل الكتاب مصححًا أغلاطهم التاريخية والدينية.

رابعًا: اعتمدت أمة الإسلام في تعلم القرآن العظيم على النقل الشفاهي المسلسل المتواتر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولم تعتمد يومًا من الأيام في قليل أو كثير على مجرد الرسم، بل كان الرسم في السطور تأكيدًا لما استقر في الصدور.

خامسًا: الحروف المقطعة في بدايات بعض السور أسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها كلمات اللغة العربية، وقد افتتحت بعض السور بتلك الحروف للتحدي والإعجاز والتنبيه والإيقاظ لهؤلاء الذين تحداهم أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله.

سادسًا: جهل بعض المستشرقين بدقائق اللغة العربية واتساع معاني مفرداتها أوقعهم في كثير من الأغلاط والشبهات حول القرآن العظيم وعلومه.

وأما أهم المقترحات:

أولًا: إعداد دراسات علمية استقرائية تتناول شبهات المستشرقين قديمًا وحديثًا حول القرآن الكريم والرد عليها ردًّا علميًّا مناسبًا.

ثانيًا: إعداد بحوث علمية تدحض شبهات مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية.

ثالثًا: رصد كل جديد من كتابات المستشرقين والرد عليه من قبل المتخصصين حتى تظهر حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين.

رابعًا: نشر الردود على شبهات أعداء الإسلام من خلال وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة حتى تصل إلى أكبر عدد ممكن من البشر حول العالم؛ بيانًا لحقائق هذا الدين وتحصينًا للمؤمنين حتى لا يتأثروا سلبًا ببريق تأويلات المنحرفين.

وبعـــــــد؛

فهذا آخر ما من به الكريم سبحانه عليّ ويسره لي من الحديث عن نقض أوهام مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية حول مفردات القرآن العظيم، فله الفضل والمنة، وله الحمد في الأولى والآخرة، فلولاه ما كنت ولا كان هذا الجهد، وكل نعمة فمنه وحده هو مبديها ومسديها.

ويبقى هذا الجهد بشريًّا يعتريه النقص والخطأ، مما يجعلني أقر بأن ما فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان من نقص أو خطأ فمني ومن الشيطان، وحسبي أني اجتهدت، والخير قصدت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

والله أسأل أن يتقبل عملي هذا بقبول حسن، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في الدنيا والآخرة، وصلى الله وسلم وبارك على سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

أهم المصادر والمراجع

أولًا : القرآن الكريم جل من أنزله.

ثانيًا : كتب التفسير:

– إرشاد العقل السليم : للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي، المتوفى سنة ٩٨٢هـ [طبعة دار إحياء التراث العربي — بيروت].

– التحرير والتنوير: للشيخ محمد الطاهر بن عاشور[طبعة الدار التونسية للنشر سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م].

– تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ [ط: مؤسسة الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م].

– تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين (المتوفى: ١٣٥٤هـ) طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م.

– تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة٧٧٤ هـ[مؤسسة قرطبة للطبع والنشر والتوزيع ، تحقيق : مصطفي السيد محمد ، ومحمد السيد رشاد ، ومحمد فضل العجماوي ، وعلي أحمد عبد الباقي ، الطبعة الأولي ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠ م]

– الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة٦٧١هـ [طبعة مؤسسة الرسالة، تحقيق : دكتور/عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولي ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م].

– زاد المسير في علم التفسير: للإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى: ٥٩٧هـ تحقيق: عبد الرزاق المهدي[طبعة دار الكتاب العربي — بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ].

– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل : لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى ٥٣٨هـ ط: دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

– مفاتيح الغيب: للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي المتوفى سنة٦٠٦هـ [طبعة دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ – ١٩٨١ م].

ثالثًا : كتب علوم القرآن :

– الإتقان في علوم القرآن : للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ [طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم].

– البرهان في علوم القرآن: لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧م، طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

– بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار، طبعة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

– المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغة الحبشية والفارسية والهندية والتركية والزنجية ... للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ طبعة دار الترقي بدمشق ١٣٤٨هـ.

رابعًا : كتب الحديث وشروحه :

– الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري): للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي المتوفى سنة ٢٥٦هـ [دار طوق النجاة– تحقيق : محمد زهير بن ناصر– ،الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ]

– سنن أبي داود: للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة: المكتبة العصرية، صيدا — بيروت.

– سنن الترمذي: للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ [مطبعة مصطفى البابي الحلبي – تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ،الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م].

– صحيح مسلم للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ

[طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت].

– فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ [ط: دار المعرفة بيروت، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز ، الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، الشيخ محب الدين الخطيب]

– مسند الإمام أحمد بن حنبل: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

خامسًا: المعاجم:

– غريب الحديث: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: د. عبد الله الجبوري، طبعة: مطبعة العاني – بغداد، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.

– لسان العرب: للإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري المتوفى سنة ٧١١هـ [طبعة دار صادر – بيروت ،الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ].

– المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم: لأبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م.

– المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، طبعة: دار القلم، الدار الشامية – دمشق.

سادسًا: أصول الفقه:

– إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول: لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، طبعة: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

– الرسالة: لأبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: أحمد شاكر، طبعة: مكتبه الحلبي

مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.

– شرح مختصر الروضة: لسليمان بن عبد القوي الطوفي (المتوفى : ٧١٦هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة : مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

– كشف الأسرار شرح أصول البزدوي: لعبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: ٧٣٠هـ)، طبعة: دار الكتاب الإسلامي.

سابعًا: كتب متنوعة:

– الآداب الشرعية والمنح المرعية: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ) الناشر: عالم الكتب.

– البداية والنهاية: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: علي شيري، طبعة: دار إحياء التراث العربي. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ

– الترجمة العربية لمرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية، تحرير محمد عبد الحليم ومصطفى شاه، ترجمة الدكتور حسام صبري والأستاذ مصطفى الفقي، طبعة مركز نهوض للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى ٢٠٢٤م.

– التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) الناشر: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ. ١٩٨٩م.

– دراسات في مناهج المفسرين: للأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة، طبعة مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ ٢٠١٨م.

– دفاع عن القرآن ضد منتقديه: د/عبد الرحمن بدوي، ترجمة/ كمال جاد الله. طبعة الدار العالية للكتب والنشر. بدون تاريخ نشر.

– سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ) المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

– السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي. طبعة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ.

– الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.

– المحكم والمتشابه في القرآن الكريم (رسالة دكتوراه): للأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة، طبعة نهضة مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

– النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ) اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية. قدم له : أد. عبد العظيم إبراهيم المطعني. طبعة دار القلم للنشر والتوزيع. طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

فهرس الموضوعات

مقدمة

تمهيد

المبحث الأول: نقض أوهام عامة حول مفردات القرآن الكريم

الوهم الأول: بعض مفردات القرآن الكريم ذات أصول أعجمية

الوهم الثاني: القرآن مقتبس من المصادر الكتابية والأدبية.

الوهم الثالث: وجود أخطاء في رسم النص القرآني

المطلب الثاني: نقض أوهام تطبيقية حول مفردات القرآن الكريم

المثال الأول: المفردة القرآنية "الصابئون".

المثال الثاني: الحروف المقطعة في أوائل بعض السور .

المثال الثالث: كلمة الكلالة في سورة النساء

المثال الرابع: كلمة الفرقان في آي القرآن .

المثال الخامس: كلمة الكتاب في سورة النور

المثال السادس: كلمة الصمد في سورة الإخلاص

المثال السابع: كلمة قرآن في آيات الذكر الحكيم

الخاتمة

أهم المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات .